الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر

بعنوان:

جهود فقهاء المالكية العلمية وأدوارهم السياسية في السودان الغربي خلال القرن (5-11هـ/11-17م)

إعداد الطالبة:
- علالي سعيدة

تحت إشراف:
-د-صلاح الدين وانس

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/06/14

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
بوعروة بكير	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	رئيسا
وانس صلاح الدين	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
يمينة بن صغير	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:1443_1444هـ الموافق ل 2022_2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"

انتهت الحكاية ورفعت قبعتي مودعة للسنين التي مضت أهدي

تخرجي الى الحب والحنان أمي الحنونة والمرحوم أبي العزيز رحمه الله

وتغمده برحمته الواسعة الذي كان سندا لي في مسيرتي

الدراسية، حفظ الله أمي وأخي وأخواتي وأدامهم تاج على رأسي،

والشكر موصول إلى أساتذتي الكرام. أهديكم تخرجي دعواتكم لي

بالتوفيق والنجاح نحو مستقبل مشرق

سعيدة

شكر وعرفان

قال صلى الله عليه وسلم

"من اصطنع إليكم معروفا فجازوه فان عجزتم عن مجازاته فدعوا له حتى يعلم أنكم شكرتم إن الله شاكر يحب الشاكرين"

لا يسعنا ونحن في هذا المقام إلا أن نتقدم بواسع الشكر والتقدير

إلى من لم يبخل علينا بنصائحه وارشاداته لإكمال هذه الدراسة كما نشكر

له طول صبره في تحمل قراءته وتصحيح فصوله إلى أستاذي ومرشدي ومشرفي الدكتور

" صلاح الدين وانس"

و إلى كل الذين قدموا لنا يد العون وأناروا لنا درب العمل وساعدونا كثيرا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم وحسن استقبالهم وتزويدنا بكل ما نحتاجه من وثائق ومعطيات وإلى جميع أساتذة ودكاترة الجامعة

والشكر الكبير إلى كل من ساعدنا ولو بكلمة مفيدة إليهم كافة التقدير والاحترام.

نشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد لإتمام هذا العمل المتواضع

نختم بالشكر الخاص لأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتكرمهم بقبول مناقشة هذه المذكرة وإثرائها وتقييمها....شكرا لكم جميعاً

سعيدة

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

الرقم	العنوان
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
د س ن	دون سنة نشر
د م ن	دون مكان نشر
هـ	هجري

مقدمة

مقدمة

كان للدعاة والتجار الفضل في وصول الإسلام والعربية وإنتشارهما في بلاد السودان الغربي بالدرجة الأولى، وكذلك تبني سكانها للمعتقدات والمذاهب التي سادت في بلاد المغرب وفي مقدمتها المذهب المالكي، وعندما انتشر الإسلام ظهرت عدة تيارات ومذاهب وفي مقدمتها المذهب الإباضي والمالكي غير أن المذهب المالكي وجد قبولا كبيرا في هذه المنطقة، بفضل جهود المرابطين وقربه من حياتهم الإجتماعية والفكرية ومن الناحية السياسية والبساطة وهو يحاكي البادية في المدينة وظل فيهم إلى يوم الناس هذا وشكل عنصر وحدة لإفريقيا ومن أبرز عوامل التواصل بين السودان الغربي والمغاربة رغم التحديات والمتغيرات الفكرية والأوضاع السياسية والأمنية التي واجهتهم آنذاك.

إن مختلف المؤثرات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية الإسلامية لبلاد المغاربة التي عبرت نحو بلاد السودان الغربي، وحتى قبل ظهور الإسلام وجد ذلك الترابط بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء حسب ما تناولته عديد الدراسات التاريخية، أشارت على أن المغرب هو المصدر لدخول الإسلام، وإنتشار العربية إلى أعماق إفريقيا، ومنه انتشر المذهب المالكي الذي تبنته قبائل وشعوب السودان الغربي، فكانت لرحلات والتجار والعديد من الفقهاء الدور في إقناع أهل السودان الغربي بالإسلام عامة وبالمذهب المالكي خاصة رغم وجود عديد الإشارات لدى بعض المؤرخين والرحالة حول أسبقية للمذهب الإباضي في تلك المنطقة.

من الطبيعي في تلك الربوع أن تنتشر المذاهب الإسلامية مع انتشار الإسلام ربما يفسره ذلك التنافس الشديد بين التجار والفقهاء والدعاة على اختلاف نحلهم وتوجهاتهم لنشر مختلف المذاهب الإسلامية في السودان الغربي، وإذا سلمنا جدلا أن أوائل التجار كانوا من الإباضية فقد ادخلوا مذهبهم إلى السودان الغربي وقد حاولوا الشد عليه، فقد انتشر الإسلام على مذهبهم خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين. وبدخول المرابطين لمملكة غانة ساد المذهب المالكي بفضل نشاط دعاة المالكية وفقهائهم وسيطرتهم على الطرق التجارية في كل بلاد السودان الغربي، فقويت شوكة المذهب المالكي في تلك المنطقة وتحول ذلك إلى المذهب الرسمي إلى كل الممالك السودانية الإسلامية التي سادت بفضل جهود الفقهاء وعلماء المالكية بما فيها مالي وصنغاي وكانوا وبرنو وأصبح الطابع المميز للحياة الاجتماعية والثقافية.

- **حدود الدراسة:**

- **الموضوع:** جهود فقهاء المالكية العلمية وأدوارهم السياسية.
- **الإطار الزماني** :يركز الموضوع على المذهب المالكي خلال الفترة الزمنية التالية (5-11هـ/ 11-17م)
- **الإطار المكاني:** بلاد السودان الغربي.

وبناء على ما تقدم يمكن أن تُطرح الإشكالية التالية:

- ما هي أبرز جهود فقهاء المالكية العلمية ومواقفهم السياسية في السودان الغربي 5-11هـ /11- 17م؟

- وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية إشكاليات فرعية:

- كيف كانت أوضاع السودان الغربي قبل ظهور وانتشار الإسلام؟
- ما هي أبرز المذاهب والتيارات في السودان الغربي قبل المذهب المالكي؟
- ما هي أهم إسهامات الفقهاء المالكية في نشر المذهب المالكي وسيادته؟
- ما هي أهم مواقف الفقهاء المالكية السياسية؟

- **أسباب اختيار الموضوع:**

- كان في ظل ميولي ورغبتي في الدراسة والبحث، وكذلك شغفي في دراسة موضوع يتعلق بمنطقة السودان الغربي.
- محاولتي التعرف على الدور الحضاري والثقافي الذي أداه الإسلام بمنطقة السودان الغربي باعتباره امتداد العالم الإسلامي ومد لجسور التواصل وإحياء العلاقات المغربية السودانية.
- السعي لإثراء المكتبة الجزائرية بدراسة عن الدور الذي قام به المالكيين للإسلام في منطقة غرب إفريقيا.

- **أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الموضوع في إبراز الدور العلمي والسياسي الذي قام به فقهاء المالكيين في السودان الغربي وتعتبر من أهم الانجازات الإسلامية التاريخية التي قام بها المالكية في هذه المنطقة في التاريخ

الإسلامي وهي جهود فقهاء المالكية العلمية وأدوارهم السياسية في السودان الغربي 5-11هـ/ 11-17م التي تعتبر من الفتوحات الإسلامية التاريخية التي قام بها العديد من الفقهاء والمماليك.

– المناهج المعتمدة:

للإجابة على هذه التساؤلات اخترت المنهج التاريخي وأدواته السرد والوصف والتحليل، ذلك لآن السرد يساعدنا في سرد الأحداث وتتبع الوقائع بتواريخها وزمانها، والوصفي باعتباره المنهج المناسب لوصف المدن والطرق والتحليل لشرح العلاقة بين الفقهاء والعامة.

– خطة البحث:

ولدراسة هذا الموضوع وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت على خطة مكونة من أربعة فصول، بداية ب:

الفصل التمهيدي بعنوان أوضاع السودان الغربي قبل ظهور الإسلام، والذي تضمن مبحثين هما:

المبحث الأول: تعريف بلاد السودان الغربي وفيه نشأة السودان الغربي والإطار الجغرافي والتركيبة السكانية.

المبحث الثاني: السودان الغربي قبل ظهور الإسلام

الفصل الأول: بعنوان السودان الغربي قبل المذهب المالكي والذي يتضمن مبحثين:

المبحث الأول: المذاهب والتيارات الفكرية قبل وبعد ظهور المذهب المالكي.

المبحث الثاني: أوضاع السودان الغربي الثقافية بعد ظهور المذهب المالكي وفيه إنتشار اللغة العربية وانتشار العلوم والإنتاج الفكري.

الفصل الثاني: مراحل إنتشار المذهب المالكي الذي يتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة المذهب المالكي وفيه تعريف بالمذهب المالكي والمناطق التي ذاع فيها المذهب المالكي.

المبحث الثاني: عوامل إنتشار المذهب المالكي وفيه العوامل الداخلية والعوامل الخارجية.

المبحث الثالث:. مرحلة سيادة هذا المذهب وفيه أعلام هذه المرحلة والطرق التي ساد بها.

الفصل الثالث: فقهاء المالكية والحياة العلمية وأدوارهم السياسية والذي يتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الإسهامات العلمية وأدوارهم التعليمية.

المبحث الثاني: علاقة الفقهاء بالسلطة وتأثيرهم السياسي.

– الدراسات السابقة:

لحد علمي وحسب اطلاعي فإنني لم أجد دراسة تخص الموضوع خاصة في الفترة المدروسة، إلا أنني اعتمدت في بحثي على بعض الدراسات السابقة التي تطرقت لبعض أجزاء الموضوع منها:

دراسة سحر عنتر احمد محمد مرجان، عنوانه " فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغاي (628 – 1000 هـ/1591–1230م)، رسالة ماجستير، دار النشر مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1432هـ / 2011م إحتوت هده الدراسة التاريخية للمذهب المالكي وفقهائه في عهد مملكتي مالي وصنغاي عدة فصول وقد بينت في هاته الدراسة الدور الدي قام به فقهاء المالكية في ميادين الحياة باختلافها السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية لهدا المذهب.

لقد كانت لهده الدراسة طريق لمساعدتي نحو طريق البحث الدي يخص مذكرتي باعتبارها مرجعا مهما وملما وزاخرا بالمعلومات، الا انها ركزت في اظهار الدور الثقافي والاجتماعي للفقهاء عن غير الادوار الاخرى.

دراسة أسماء زروق و لطيفة عصيد بعنوان المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ق (5–11هـ/17–11م) رسالة ماستر، جامعة تيارت ابن خلدون لكن كان العمل الخاص بهما بصفة مختصرة حيث خصصتا للموضوع فصل فقط دون التوسع في المعلومات.

– دراسة تحليلية للمصادر والمراجع:

المصادر:

- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (**ت: 779 هـ / 1377 م**): **كتابه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** " أورد فيه معلومات كثيرة عن مملكة غانة ومملكة مالي، خصوصا وأن ابن بطوطة كان شاهد عيان خلال زيارة إلى دولة مالي الإسلامية سنة 753 هـ / 1352م بأمر من السلطان المريني أبو عنان على عهد حاكمها منسى سليمان، وقد أ ذكر بعض فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي، دون ذكر تفاصيل كافية عنهم بل إكتفى بذكر أسماء بعضهم فقط، كذلك معلومات ذات فائدة كبيرة عن مالي.

وكذلك كتاب (**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**) **للقاضي عياض** والذي أفادني كثيرا لأنه خصص علماء المالكية دون غيرهم من المذهب في هذا الإصدار.

أيضا (**تاريخ السودان**)**لعبد الرحمن السعدي** ويعتبر هذا الكتاب المصدر الأساسي لتاريخ مملكة صنغاي.

المراجع: تعتبر المراجع مهمة كثيرا في فهم وتحليل الحوادث التاريخية وهذا بإعتبار مؤلفيها يعتمدون على أمهات المصادر ولهذا السبب إعتمدت على عدة مراجع منها: نور الدين شعباني، (**محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**) وهي بالغة الأهمية حول ممالك السودان الغربي وقد تناولت بمعلومات من أمهات المصادر التاريخية مثل (**تحفة النظار في غرائب الأمصار**) **لمحمد الطنجي**. وكذلك (**دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 9و /5هـ 151-11م**) لنور الدين شعباني وفيه خصص الحديث عن ملوك ممالك السودان وأدوارهم الدينية لكن دون أن يذكر غيرهم.

- صعوبات البحث:

من بين الصعاب التي واجهتني في رحلة البحث في هذا الموضوع وهي: ضيق الوقت المحدد لإنجاز المذكرة وبالإضافة لذلك ارتباطي بالعمل واكتساح جل وقتي وجهدي فيه. وكذلك لصعوبة

الموضوع كان له نصيب في ذلك وهذا بسبب قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع. وبالرغم من توفر الانترنيت إلا انه هناك كتب لم استطع تنزيلها.

لكن مثل ما يقول: جمال الدين (الأفغاني الهمة تلد العزيمة ولا يتسع الأمر إلا إذا ضاق)، فقد وفقت بفضل الله عز وجل أولا ودعوات أمي حفظها الله لي ورعاها وبارك لي في عمرها وصحتها، ثم بتوجيهات مشرفي الدكتور صلاح الدين وانس تمكنت ولله الحمد من انجاز هدا العمل المتواضع ويبقى الكمال دائما لله وحده.

الفصل التمهيدي

أوضاع السودان الغربي قبل ظهور الإسلام

أولا: التعريف ببلاد السودان الغربي وفيه نشأة السودان الغربي والإطار الجغرافي والتركيبة السكانية.

1- نشأته

2- الحكم

ثانيا: السودان الغربي قبل ظهور الإسلام

1- ما قبل الإسلام

2- بعد مجيء الإسلام

المبحث الأول: التعريف ببلاد السودان الغربي.

أولا– تعريفه:

لم يظهر مصطلح السودان الغربي إلا في العصر الوسيط، أي في الفترة التي تم فيها العثور على منابع لنهر النيل ونهر النيجر منفصلين عن بعض. وقد تعرف الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين على السودان الغربي، منهم الزهري[1] الذي سمى أرض السودان بأرض الجناوة، والتي تم تحديدها من المغرب بالبحر الأعظم ومن المشرق حددها بآخر بلاد ورجلان الى آخر بلاد النول من بلاد السوس الأقصى، أما البكري فقد ذكر أن سجلماسة هي مدخل بلاد السودان.

أ– نشأته

أصل التسمية: يعود في اللغة إلى جمع أسود وبضم أوله قرية بالشام، وأطلق العرب اسم السودان على تلك القبائل القاطنة جنوب الصحراء الكبرى وسميت ببلاد السودان وهناك من يرجع أصل هذه التسمية الى لون بشرة أهالي هذه المنطقة.[2] وتنقسم بلاد السودان الغربي إلى ثلاثة مناطق:[3]

- **السودان الأوسط:** ويشمل حوض بحيرة التشاد.
- **السودان الشرقي أو السودان المصري (الإنجليزي المصري):** ويشمل الحوض الأعلى لنهر النيل.

---

[1] الزهري: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، ألف كتاب : كتاب الجغرافية.

[2]– عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003، ص 193.

***أميمة:** عرفت كذلك بميمة وهي قرية كبيرة أطراف نهر النيجر تقع مابين مالي وتنبكتو. أنظر، إبن بطوطة، حلة ابن بطوطة المسماة تحفة الانظار في غرائب الأمطار، شرحه، طلال حرب، دار المكتبة العلمية، بيروت،2007م- 1428 هـ، ط4، ص 699.

***أزقي:** تسمي ايضا أزكي وهي مدينة من بلاد مسوفة وهي أول مراقي الصحراء و هذه المدينة ليست بكبيرة لكنها متحضرة. أنظر: الشريف الادريسي: لمغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق.

[3]– عبد القادر بوحسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي–قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2002، ص 03.

– **السودان الغربي:** الذي يشمل حوض نهر السنغال ونهر غامبيا والمجري الأعلى لنهر الفولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر.

ب– الإطار الجغرافي والتركيبة السكانية:

1– الإطار الجغرافي:

أ– الموقع:

بعد قراءتنا لبعض أقوال الرحالة والجغرافيين نخلص إلى أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا الكاميرون وخيرة تشاد، ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، أما من ناحية الغرب فهي تتاخم المحيط الأطلسي، ومن الجنوب خليج غينيا. أما الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي عرض 11 و17 شمال خط الاستواء وخط طول 10 شرقا و17 غربا.[1]

ب– التضاريس:

بموجب وقوع بلاد السودان الغربي ضمن النطاق الصحراوي فإن معظم أراضيها رملية ما عدا الأقاليم الواقعة بمحاذاة تحري النيجر والسنغال وروافدهما، وكان لهذا الموقع دور في تنوع تضاريس الإقليم واختلافها من منطقة إلى أخرى، تتخللها هضاب وحبال منها سلسلة جبال سيقوحاو، وهحار وأهير وجبال أورار الشرقية الغربية، وترتفع بعض أماكن الصحراء إلى 6.000 قدم فوق سطح البحر كما تنخفض إلى مائة قدم تحت سطح البحر[2]. أما هضابه منها هضبة النيجر، فيما تقع السهول شرق بلاد الهاوسا وتشكل منخفض بحيرة تشاد إضافة للسهول الممتدة على ضفاف نهري النيجر والسنغال[3]كما توجد العروق بالمنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى شمالا، أي ما بين بلاد المغرب جنوبا وبلاد السودان العربي شمالا. أما الجبال فنعتبر قوتا حالون أهم المناطق الجبلية، تمتد من غينيا إلى وكناكري وغرب ليبيريا ليبيريا وشمال سيراليون، ويعتبر جبل نيميا (Nimba) الذي يقع في

---

[1]– باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2007 م، ص 19

[2]– نفس المرجع أعلاه ص 20

[3]– عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت الكتاب اللبناني للنشر، ط 1، 1968 م، مج 6، ص197

جنوب غينيا كناكري قرب الحدود مع ليبيريا وساحل العاج، أعلى قمم جبال فوتا جالون قرب حدود السنغال يبلغ ارتفاعه 1.538م، أما المنطقة الوسطى دولة التوغو متوسط ارتفاعها 900م فتقوم من هذه الجبال مشكلة بعض الخلجان التي تؤلف موانئ صالحة لرسو السفن مثل أبيجان في ساحل العاج أما الشواطئ الرملية فتبدأ في غينيا وتنتهي في نيجيريا،[1].

أما بالنسبة لمصادر المياه فتعتبر كتلة فوتا نظرا لكثرة أمطارها ولطبيعة تركيبتها فيعتبر جالون مصدرا رئيسا للمياه، الجيولوجي الذي يسمح بتخزين المياه، وتنبع منها أشهر الأنهار، كنهري النيجر والسنغال وهما يجريان بمحاذاة حافة الصحراء الجنوبية[2]، ونهر النيجر يعتبر ثالث أنهار إفريقيا طولا بعد نهر النيل ونهر الكونغو يبلغ 4.200 كم، وكذلك من حيث مساهمة الحوض التي نزيد عن 2 مليون كلم[2] [3]، ينبع من الحدود الغينية مع سيراليون، يرفد كثيرا من الأنهار ويمر في كل من غينيا ومالي والنيجر ثم يتجه إلى نيجيريا ليصب في دلتا كبيرة وهو صالح للملاحة ومصدر هام لصيد السمك[4]. ويكاد المؤرخون والجغرافيون يجمعون على أن نهر النيجر هو فرع من نهر النيل المصري فسمود نيل غانا ويقصدون به نهر النييجر، ومن بين الجغرافيين الذين استعملوا هذا المصطلح الدمشقي الذي سماه "نفر غانة" لأنه يمر بمملكة غانة، ويرفد هذا النهر الكثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا ومالي والنيجر[5]، وبعد المجرى الأعلى للنهر صالح للملاحة، بينما كوروسا غير صالح للملاحة بسبب وجود المساقط ثم تعود صلاحيته للملاحة، وهو كذلك يعد من المصادر الهامة لصيد السمك[6].

أما نهر السنغال سادس الأثار الإفريقية طولا وخامسها من حيث مساحة حوضه، يبدأ النهر بعد روافد من هضبة فيتحالفون ثم يتجه شمالا إلى أراضي غيبيا ونيجيريا ثم غربا البحري في السنغال

[1]- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2007م ص 22-23.

[2]- زكي عبد الرحمن، **تاريخ الدولة بإفريقيا الغربية**. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ط، 1964 م، ص 7.

[3]- محمد عبد الغني المسعودي، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم إفريقيا**، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن مسعود، د.طه 1999 م، مج 12، ص 41

[4]- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، 1983 م، ص 22.

[5]- الدمشقي شمس الدين، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**. بيتربورغ، المطبعة الأكاديمية للإمبراطورية المقدسة، 1926 م، ص 50.

[6]- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع نفسه ص 22

التي تضم أغلب أجزائه ويصب في المحيط الأطلسي ويتميز بحراه بالانحدار التدريجي في المنطقة المستوية الساحلي، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ 350 كلم من المصب، ويعتبر القسم الأوسط من هذا النهر الصالح للملاحة وهو مصدر خصب للأراضي التي يمر بها، وأنهار فولتا (الأبيض والأحمر والأسود) التي تقع في بوركينافاسو، أما البحيرات فهي شبه معدومة باستثناء بحيرة فولتا في غانة[1].

ج- المناخ

يتواجد مناخ السودان الغربي من بين مناخ الإقليم شبه الاستوائي، والذي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في لرطوبة، بشكل خاص في الأراضي الواقعة بمحاذاة تحري النيجر والسنغال الذي يجري بالقرب من حافة الصحراء الجنوبية إضافة إلى الأقاليم المجاورة[2]، وتكثر الأمطار في إفريقيا الغربية على العموم غير أنها تقل كلما اتجهت نحو الشمال في الداخل وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار وتصل إلى درجة تصعب معها رؤية الأشياء، كما يدخل القسم الأكبر من منطقة الساحل الشبه جاف في إفريقيا الغربية، والتي تقع جنوب الصحراء الكبرى ابتداء من السودان شرقا وحتى المحيط الأطلسي غربا[3].

أما عن الرياح فنظرا لطبيعة المناخ الصحراوي الجاف فهي غير مستقرة فقد تصل سرعتها إلى درجة كبيرة، مما ينتج عنها تفتت الصخور وتعري سطح الأرض وعرقلة بحرى الحياة اليومية، وهو ما ذكره ابن سعيد المغربي، عندما قال: " لا ماء ولا مرعى ولا عمارة، بل رمال سائلة، وطرق مظللة طامسه ".[4]

---

[1]- المرجع نفسه ص 24.

[2]- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 24.

[3]- زكي عبد الرحمن، **تاريخ الدولة الإسلامية السودانية في إفريقيا الغربية**، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، 1974 م، ص 9

[4]- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**. تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 1982 م، ص 113

ح- اقتصاد المنطقة:

إن تنوع مناخ، وخصوبة تربة، ووفرة الثروة الحيوانية بغانة والثروة السمكية بالسواحل الأطلسية والأنهار الداخلية (السنغال - النيجر) تعتبر من مميزات بلدان غرب إفريقيا، هذا فضلا عن كونها خزانا للمعادن النفيسة كالذهب والنحاس والحديد، وهذا ما دفعها الى تشكيل رواجا مهما في تجارة القوافل الصحراوية والرحالة العرب، أمثال ابن بطوطة وابن حوقل التي ربطت بين غرب إفريقيا وشمالها في العصور الوسطى، وعن هذه التجارة المربحة تحدث عدد من الجغرافيين كما أشار ابن حوقل إلى غنى أهل غانة جراء امتلاكهم لمعدن الذهب بقوله: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر المثار"[1]

خ- السكان:

ينتمي معظم سكان القارة فيما عدا سكان الشمال منها إلى ثلاث مجموعات كبرى، وهي مجموعة الشعوب السودانية ومجموعة شعوب البانتو ومجموعة الشعوب الحامية والسامية[2]. وكل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث الكبرى هي مجموعة أساسية كبرى تمثل قبائل عديدة تتغلب على غيرها من الشعوب التي تعيش بينها إما منفصلة أو مندمجة معا، وإلى جانب هذه المجموعات الثلاث الكبرى تعيش ثلاث مجموعات صغرى، ومجموعة الشعوب السودانية هي المجموعة التي تعيش في أقاليم السودان الغربي أما شعوب هذه المنطقة والأوسط، وهم عبارة عن مئات القبائل والشعوب التي تتكلم اللغات السودانية، ينقسمون إلى خمسة شعوب، وكل شعب منها ينقسم بدوره إلى مجموعة قبائل، والشعوب، هي: شعوب السودان الغربي، شعوب السودان الأوسط، شعوب السين غامبيا، شعوب غينيا العليا، وشعوب أداماو ومناطق ما بين الكونغو والنيل[3]. ومن بين هذه القبائل:

- قبائل الماندينجو(الماندي): ينتشرون في منطقة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر خاصة في مالي وكذلك في غينيا والسنغال وغامبيا وتتميز صفات جسمية بطول القامة التي أخذها من الحاميون

[1]- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي، (**ت: 367 هـ/977م**)، **صورة الأرض**. لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992 ص98.

-CUOQ Josèphe, Op.Cit, P: 2455- .

[3]- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 31.

مع البشرة فاتحة اللون يدين معظمهم بالإسلام ويشتغلون بالزراعة على أسس صحيحة ويمارسون بعض الصناعات اليدوية بمهارة فائقة، وهم مؤسسو دولة غانا وكمبى القديمتين.[1]

– قبائل الفلان: يتميز الشعب الفولاني بوجه عام بقلة السود عن الزنوج غرب إفريقيا ولكن في بعض الأحيان يكون أفراد هذا الشعب أكثر سوادا كما إن أجسامهم تميزهم عن بقية سكان غرب إفريقيا، فهم يتميزون بطول القامة، وطول الجبهة العريضة وثانيهما اعتبار الشعب الفلاني الوحيد الذي يعمل بالرعي كحرفة أساسية في حياته وقد ظل هذا الشعب منعزلا من الناحية السياسية والاجتماعية عن بقية شعوب غرب إفريقيا[2].

ولقد قيل أن نسبهم يرجع إلى الأصول الآتية:[3]

قدماء مصر: سكان الشمال الشرقي لإفريقيا بني إسرائيل، أولاد يعقوب ابن نبي االله إسحاق عليه السلام الغرب وصولا إلى أهل البيت الرسول صلى االله عليه وسلم عن طريق فاطمة الزهراء، نجلته الكريمة.

الحبشة: سكان منطقة القرن الإفريقي في شرق إفريقيا.

الهنود: من الذين نزحوا عن شبه قارم الهندية إلى قارة الإفريقية عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر بحثا عن العشب والأراضي الخصبة للزراعة وتربية الحيوان.

البربر: من القبائل شمال إفريقيا والصحراء.

– قبائل البمبارة: يلاحظ بأن البمبارة تمسكوا بالوثنية وكونوا مماليك وثنية في المنطقة الواقعة عند مجرى الأعلى لنهر السنغال، وعند ر النيجر وكثيرا منهم يعيشون في مستعمرات في ماسينا وقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين.[4]

---

[1]– فيج.جي.دين **تاريخ غرب إفريقيا**، تر:دكتور سيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.س)، ص7.

[2]– عثمان برايماباري، **جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا**، ط، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 2000، ص3.

[3]– محمد على دهني الهام: **جهاد المالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/1914م)**، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988م ص 29.

Look, CORNEVIN Robert, Op.Cit, P: 382.

[4]– محمد على دهني الهام، المرجع السابق، ص 30

– **قبائل التكرور**: يسكنون أعالي السنغال وأواسط النيجر وكانوا أسبق الشعوب للإسلام وحرفتهم الرئيسية الزراعة، وهم على جانب كبير من الذكاء والشجاعة ويمتاز التكرور عن غيرهم بأم نشروا الإسلام وهم خليط من الزنوج موطنهم الرئيسي في السنغال وقد استقر البعض منهم في السنغال الأعلى ونيورو على النيجر.[1]

– **قبائل الطوارق**: ينحدر الطوارق إحدى أقسام صنهاجة من قبيلة مسوفة التي كانت من رحلة اليمنية عن طريق المغرب وتفرقوا في الصحراء ما بين السودان وجبال الأطلس[2]مضارب هذه القبائل في شمال إفريقيا في صحارى المغرب وسهوله ولكنها أحدث منذ القرن ميلادي تهجر موطنها متجهة نحو الغرب، ثم ما لبث أن انحدرت نحو الجنوب.[3]

– **قبائل سونرهاي صنغاي**: شغلت الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو وتمتد على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من داهومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا ونشأت هذه الدولة أو ما يسمى إمبراطورية سونرهاري في قرون الأولى الميلادية.[4]

– **قبائل الهوسا**: تحتل الهوسا معظم دولة نيجيريا ويقدر عددهم بحوالي خمسة عشر مليونا وقد كانوا يعيشون في السابق في الأقاليم الوسطى لجنوب الصحراء الشرقي نهر النيجر وقد أخرجنهم من مواطنهم قبائل الطوارق فأخذوا يهاجرون نحو الجنوب.[5]

–**العرب**: يتواجد العرب في مناطق كل شمال مالي والنيجر وتشاد وتمثل الاغلبية بموريتانيا وقد جاءوا إلى بلاد السودان الغربي عن طريق الرحلات الهجرات والتجارة ومن بين هذه القبائل واهمها هي عرب

[1]– د.محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج1،الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر،(د.س) ص593

[2]– عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 –515هـ/ 1121م 1083**، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص32.

[3]– عطية مخزوم الفي، المرجع نفسه، ص24.

[4]– المرجع نفسه، ص24

[5]– محمد علي فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريرية، المرجع نفسه ص 26

المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيبات، أولاد دليم، الجكاكنة، البرابيش، مشطوف أهل أروان، أولاد غلا، أولاد يعقوب بإضافة[1].

ثانيا– الحكم:

1– مملكة غانة

تعتبر غانا هي أول ممالك الإسلامية التي ظهرت في إفريقيا،[2] تقع مملكة غانا القديمة بين نهر السنغال والنيجر[3]، وتمتد فترة حكم هه المملكة غانا خلال منتصف القرن الثاني ميلادي إلى غاية القرن الحادي عشر[4]، وتنقسم هذه المملكة إلى قسمين، وهي فترة الحكم البيضان وفترة حكم السونيك حيث نعرضها كما يلي:

– فترة حكم البيضان:

حكم في هذه الفترة عناصر بيضاء، فقد ورد عن السعدي أن إمارته غانة أول ملك قام بحكمها اسمه قيمع ودار وهي جزء من أرض باغن وحكمها 22 ملك قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بيضان[5].

وقد اتفقت معظم الكتابات أن أصل هذه العناصر البيضاء هي بربرية ولكن بعض المؤرخين الغربيين حاولوا أن يبينوا أن أصل هذه العناصر البيضاء التي حكمت غانا حتى القرن التاسع ميلادي هي عناصر يهودية.[6]

– فترة حكم السونيك

---

[1]–أحمد ناجم الدين فليجة، **إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، الإسكندرية**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.س)، ص195.

[2]– نور الدين شعباني، **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، د س ن، د، ط، ص35

[3]– عطية مخزوم الفيتوري، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب صحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**،ط1 منشورات جامعة 3 قازبونس ص79.

[4]– نور الدين شعباني، المرجع نفسه، ص37.

[5]– عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، طبعة هوادس، باريس، 1981، ص9.

[6]– عطية مخزوم الفيتوري، المرجع نفسه، ص 235.

دخلت غانا في فترة حكم جديدة لتنقلب الموازين ويصبح العبد سيدا وهي فترة حكم السونيك. انتهت فترة حكمها في القرن الثامن ميلادي على يد القبائل السوني كية السود الذين كانوا رعاياهم وعبيدهم[1]. كما سقطت المملكة السوني كية في القرن الحادي عشر بعد الفتح المرابطي.حين تم وصول عناصر السونيك من أسرة السيسي للحكم وكانوا أقوى من البيض[2]، وذلك، واستطاعوا ضم مدينة أوداغوست حوالي سنة 790م[3].

2- مملكة مالي:

هي مملكة في السودان الغربي، يعود تأسيسها السندياتاكايتا، الذي تمكن من تحريرها من سيطرة الصوصو، واعتلى عرش ماليا في 1230م، وأخذ في التوسع وكانت عاصمته نياني.[4]

سيطرت مملكة غانا على أراض واسعة ممتلكات فضمت، والصوصو، وبلاد الطوارق ووصلت الى غاية خليج غمبيا جنوبا وعرفت عدة ملوك عظام أشهرهم منسى موسى وأخيه منسا سليمان،. وبدت تظهر عليها الضعف من أواخر القرن 14م فاسحة المجال لمملكة أخرى تنافسها من الجهة الشرقية لنهر النيجر ومملكة صنغاي.

3- مملكة صنغاي:

لقد كان بداية ظهور لمملكة صنغاي يعود الى القرون الميلادية الأولى، حيث يرى دولا فوس بأن تأسيس المملكة يرجع إلى القرن 7 م الأول للهجري، وتمتد هذه المملكة على ضفة نهر النيجر الى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا[5].

---

[1]- ماك كول، **الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة و غانة**، ترجمة الأستاذ محمد حمداوي، الدار البيضاء د ط، ص56.

[2]- الهادي مبروك الدالي، المرجع نفسه، ص.26

[3]- شعباني نور الدين، **دور ملوك السودان الغربي و الأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 9و5/ هـ 11-156م**،مجلة كان التاريخية، ع14، ص.37

[4]- جوزيف جوان، **الاسلام في ممالك و إمبرطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمة:مختار السويفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1404هـ- 1984م، ط1، ص، 66.65.

[5]- عطية مخزوم الفيتوري، المرجع نفسه، ص 301.

ولقد مرت هذه المملكة بمرحلتين هما مرحلة حكم العائلة التي جاءت من اليمن إلى انطوائها تحت حكم مملكة مالي واستلائها على عاصمتها جاو عام 1325م، وتمكن بن زايا سبى من تحريرها سنة 1464.[1] وبعدها جاءت مرحلة حكم الأساكي، عندها تمكن الأسكيا محمد التوري من الإستيلاء على عرش صنغاي، وكان معروفا بأنه عسكريا وإداريا مقتدرا يعود له تنظيم المملكة ّ إلى عدة ولايات ومقاطعات وجعل على كل مقاطعة والي[2].

4- مملكة الهوسا:

تتكون بلاد الهوسا التي تعرف بنيجيريا الشمالية حاليا، وجزء من جمهورية النيجر، حيث كانت في العصور الوسطى واقعة بين سلطنة مالي وصنغاي غربا وسلطنة البورنو شرقا ويحدها من الشمال بلاد أمير والصحراء الكبرى من الجنوب.[3] وتتكون ممالك الهوسا من 7 ممالك وهي: كانو، كتسينا، زاريا، جوبير، سوكوتو، زازو، زنفرة، وتوجد أسطورة شعبية تقول ان هذه الممالك لزعيم مخلد بت كيداد وتقول أنه تزوج الملكة دورا، وخلفت له 7 بنات وهن أسماء لهذه الممالك.[4]

جاو: مدينة قاو تقع في الاشمال الشرقي من العاصمة بماكو، جمهورية مالي كانت تمثل الدور السياسي بمثابة عاصمة لإمبراطورية لسنغاي والدور الاقتصادي، ينظر: مبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 309

[1]- جوزيف جوان، مرجع نفسه، ص ص 82. -83

[2]- عطية مخزوم الفيتوري، مرجع نفسه، ص 306.

[3]- محمد عبد الحليم رجب، **الموسوعة الافريقية لمحات من تاريخ القارة الإفريقية**، جامعة القاهرة، معهد البحوث الدراسات الافريقية، 1998، دط، مج، 2 ص، 202-203.

[4]- سيسيكو سينيكي مودي: **تاريخ افريقيا العام، السونيسكو**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988، ص 287.

المبحث الثاني: السودان الغربي قبل ظهور الإسلام.

أولا –ما قبل الإسلام:

1– الوضع الديني.

–الديانات: للحديث عن المجتمع الافريقي بصفة عامة والسودان الغربي بصفة خاصة قد يكون من الصعب الفصل فيه بين الوضع الديني والعلاقات الاجتماعية لان المعتقدات تتعدى الفرد باختلاف الانماط، من انماط المجتمع وانماط السلوك الاجتماعي تمتزج بالمعتقدات، ومن الفطرة يشعر الانسان بالوازع الديني اي الخوف من الوقوع في الاخطاء، فتجده يبحث عن ما يخرجه من الخوف فينطوي تحت راية الجماعة والطقوس المتبعة[1].

يعتبر السودان الغربي في نظر مسلمون المغرب بلاد الغرائب والعجائب، فهي ارض غرباء الاطوار والسحر والشعوذة [2]. فكان منهم من يعبد الشمس عند رؤيتها ومنهم من يعبدون النار وكان منهم المجوسيين وعباد الدكاكير[3]

ان الديانة الوثنية كانت عقيدة اهل السودان الغربي قبل ان يظهر ويصل الاسلام للمنطقة، لقد كانت ديانة تتعلق بمجموعة خاصة وبرقعة جغرافية معينة تلازم القبيلة حيث ما كانت. وكان في اعتقاد الوثنيين ان هدا الكون له قوة تتماشى باقامة طقوس دينية ودلك في ظنهم من اجل منع الكوارث التي يمكن ان تحدث وتسبب خطر جسيم على حياة الانسان، ففي مفهومهم انه كان بجانب هده القوة كائن اخر ويتجهون لعبادته بحيوان او بشيء من النباتات والجماد ويطلق عليه اسم الطوطم[4] وتسمى دلك بعبادة الاسلاف.وهده الاعتقادات في مفهوم عباد الوثنية تعيد التوازن وتحرر الاحياء من الكثير من القيود والكوارث.

---

[1] عبد الرحمن عمر الماحي. الدعوة الاسلامية في افريقيا. ط1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية بن عكنون، 1996،ص9.

[2] فنسان مونتاي. الاسلام في افريقيا السوداء. ترجمة الياس حنا، ط1 ، دار الطباعة والنشر بيروت لبنان، 1983،ص 39.

[3] الدكاكير مفرد الدكور وتعني عندهم الصنم. انظر ابي عبيد الله البكري. المغرب في دكر بلاد افريقية والمغرب مكتبة المقنى، بغداد، ب ت،ص160.

[4] عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق ص10

في حين نجد انه هناك ديانات اخرى وجدت في المنطقة قبل مجئ الاسلام اليها ومنها:

اليهودية:[1] كانت هده الديانة موجودة بالإسكندرية بمصر وبعد دلك انتقلت الى عدة مدن في شمال افريقيا الى ان وصلت الى المغرب الاقصى،[2] ومنه عرفت طريقها الى بلاد السودان الغربي عن طريق الهجرة من شمال افريقيا.

المسيحية: كانت موجودة في مصر بواد النيل تحديدا ومنها وصلت الى شمال افريقيا وبدلك دخلت بلاد النوبة وبعدها الى سكان غانة بالسودان الغربي.[3]

أيضا كانت هناك معتقدات دينية اخرى منها: كانوا أهل تلك المنطقة منهم من يجعلون لكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية إله يعبدونه ويقدسونه ويقدمون له القربان، وكان لكل فئة وعشيرة كاهن يتوسطون به الى الالهة المعبودة لتبرك وسعي لحلول قضاياهم الخاصة والعامة مع اعتقادهم بتعدد الآلهة من الأكبر الى الأصغر.[4]

وايضا كانوا يقدسون المعادن والنباتات والاشياء، كانت بعض القبائل يقدسون البندورة على اساس انها لها تأثير على النسل وايضا بعض المعادن مثل الدهب والنحاس ويعتبر لهم ملكا لله[5].

2- الوضع العقائدي والثقافي:

- العادات والتقاليد.

عادة وأد الأطفال: كانت هده الظاهرة تخص كل اطفال المنطقة دكرا او انثى والدين منهم من ولد بنقص مثلا من يولد من قدميه قبل راسه او تنقصه احد الاعضاء او يزيد عضو عن غيره، ايضا ان

---

[1] اليهودية هي ملة التي يدين بها اليهود وهم امة موسى عليه السلام وسميت بدلك نسبةالى يهود ابن يعقوب الدي ينتمي اليه بنو اسرائيل. الموجز في الاديان والمذاهب المعاصرة.ط1 ،دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1992م،ص 18.

[2] حسن احمد محمود ،الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، القاهرة، دار الفكر العربي ،ط1، 1998 ،ص27.

[3] المسيحية وسميت بهذا الإسم نسبة الى المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام وهي النصرانية.انظر ناصر عبد الله القفار.ناصر بن عبد الكريم ص 64,65.

[4] عثمان برايما باري المرجع السابق ،ص

[5] عثمان برايما باري، المرجع نفسه، ص 11.

ولد توام يقومون بالتخلص منهما او من احدهما في اعتقادهم ان الروح التي اتت في الطفل روح شريرة[1].

الختان: كان لبعض من يعتنقون الديانة الوثنية اهتمام كبير به وكان الهدف من دلك اعداد الفتيان والفتيات الى استقبال مرحلة المراهقة، وكانوا يقومون بجمع الاولاد والبنات في فصل الجفاف بمعسكرات خاصة ومنفصلة ثم يقومون بتقديم لهم التعاليم الاخلاقية والقبلية والمحرمات من طرف كبار قبيلتهم وبعده تتم عملية الختان لهم عن طريق العجائز[2].

الشعودة في اعتقاد بعضهم مصدر للخزي والعار، وكان يعرف المشعود انداك باسم (مصاص) أي انه يمتص القوة الحيوية لضحايا[3]

السحر وكان عندهم نوعان سحر ضار وسحر نافع.

أ- السحر الضار وهو ما يهلك الناس ويفرق بينهم ويسبب لهم الخراب والمرض والفقر

ب- السحر النافع وهو بمثابة يطرد الارواح الشريرة ويجلب السعادة والخير للفرد.

ج - قراءة الأثر يعتبر من التبصر وبهده الطريقة يتعرف فيها الوسيط على معلومات الشخص المتبع عن طريق الاتصال بأشياء تخص هدا الشخص.[4]

ثانيا: بعد مجيئ الإسلام:

كان لطبيعة القارة الإفريقية وطبيعة سكانها أثر كبيرا ساعد في انتشار الدين الإسلامي بها مع عدة عوامل أخرى ساهمت في بلوغ الإسلام في هذه المنطقة منها:

[1] عبد الرحمن عمر الماحي، المرجع السابق. ص 15.

[2] نعيم قداح حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية. ص 38.

[3] عبد الرحمن عمر الماحي المرجع السابق ،ص 15

[4] -عبد الرحمان: (عمر الماحي) ،المرجع السابق ،ص 16.

1-سماحة الإسلام.

الإسلام دين وعقيدة ومنهج وسلوك ويمتاز هذا الدين بخصائص ومميزات تتعلق بالحياة الإنسانية في كل جوانبها ويعالج كل المشكلات التي يتعرض لها الإنسان ومن بين هذه المشاكل التي عالجها الإسلام في هذه البلاد ظاهرة الاسترقاق، عندما اعتنقوا أهل السودان الغربي هذا الدين أدركوا بأنه دين يحمي البشرية من التعسف والظلم والقهر.[1]

2-الحركة التجارية.

لعبت هذه الحركة دورا مهم في دخول الإسلام والثقافة العربية لهذه المنطقة وكما قال أورلاندو توماس "أن التجارة والإسلام في غرب إفريقيا مرتبطان كل الارتباط"[2] فكان التجار المسلمين رغم الصعوبات التي تواجههم في الوصول إلا انهم تحملوا المشاق وتواصلوا مع سكان السودان الغربي خاصة الزنوج منهم وتعاملوا معهم وحملوا لهم الإسلام بكل محاسنه فمنه تأثر الكثير واعتنقوا الإسلام وازاحوا عبادة الوثنية من أذهانهم وهذا نتيجة لتصرفات التجار المسلمين معهم. واندمجوا معهم ومع حكام هذه المنطقة وكان أثر في تغيير فكر حكامها وتلقوا الترحيب منهم ومنه علموا لهم تعاليم الإسلام في كل المعاملات الدينية والاجتماعية والسياسية.[3]

3-الحركة المرابطية

تعتبر دولة المرابطين[4] إحدى الدول الإسلامية التي كان لها دورا كبيرا في نشر الإسلام في السودان الغربي فكان هدفها تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء المؤدية الى السودان لنشر الإسلام فتم الإستيلاء على مدينة اودغشت الصحراوية في سنة 447هـ. وكان لمجموعة القوافل لمتونة ومسوفة وجدالة الأثر

[1] -عطية مخزوم: المرجع السابق ،ص 94,96.

[2] شوقي عطاالله (الجمل) ،عبد الله عبد الرزاق (إبراهيم)، تاريخ المسلمين ومشكلاتهم ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م، ص،87.

[3] محمد عبد الحليم (رجب):موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي. سفير للطبع والنشر، القاهرة، ،1996ج، 9ص.10

[4] المرابطين: هو الاسم المأخوذ من الرباط أي الخلوة التي اتخذها عبد الله بن ياسين ومعه سبعة نفرمن كدالة فابنى بها رابطة، أنظر ابن أبي زرع القاسي:**روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**.صور للطباعة والوراق، الرباط، 1972م، ص.125.

الكبير في تحول السودان الغربي من عباد الوثنية الى عبادة التوحيد وكانت مملكة غانة أول من قبل الإسلام والخضوع لدولة المرابطين وايضا من بين الشعوب التي دخلت الإسلام بفضل المرابطين شعب التكرور والماندجو الصنغاي[1]، وعملوا على صقلهم وإصلاح عقيدتهم.

بتظافر هذه العوامل وبتنوع أساليبها أكتسح الإسلام منطقة غرب إفريقيا وانتشر فيها وتلقى ترحيب من أهلها رغم كل العوائق وظهر فيهم الدعاة ومريدي هذا الدين وكان من أبرز العائلات التي أخذت الإسلام دين لها والعمل به قبيلة السونيك.[2]

[1] محمود(شاكر):التاريخ الإسلامي ط،1المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ج1421،7هـ 2000م، ص. 301.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش:المرجع السابق، ص153.

الفصل الأول

السودان الغربي قبل ظهورالمذهب المالكي

المبحث الأول: المذاهب والتيارات الفكرية قبل وبعد ظهور المذهب المالكي

1- قبل ظهور المذهب المالكي

2- بعد ظهور المذهب المالكي

المبحث الثاني: أوضاع السودان الغربي الثقافية بعد ظهور المذهب المالكي.

1- اللغة

2- انتشار العلوم والإنتاج الفكري

المبحث الأول: المذاهب والتيارات الفكرية.

بعد انتشار الإسلام بصورة سلمية في السودان الغربي بفضل جهود التجار والفقهاء والعلماء المغاربة الذين اجتازوا الصحراء من اجل تبليغ هدا الدين، فصبغوا بلاد السودان الغربي بمذهبهم الفقهية ودخلت الى المغرب بعض التيارات الفكرية كالشيعة والفاطميين والخوارج الصفريين غير ان هده المذاهب بقي تأثيرهم محدودا لعدة عوامل حالت دون انتشارها بين الناس في بلاد السودان الغربي وبدخول المرابطين لمملكة غانة استقر المذهب المالكي،، وأصبح هو المذهب الغالب دون غيره من المذاهب السنية الأخرى فقد تمسكت به شعوب تلك المناطق ولم يتبدلوا بل أصبح المذهب المهيمن على الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في ممالك السودان الغربي غانة ومالي وصنغاي وكانم وبرنو.

أولا– قبل ظهور المذهب المالكي

1–المذهب الإباضي في السودان الغربي:

يعتبر المذهب الإباضي من مذاهب الخوارج وهو مذهب أكثر إعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية، تذكيرا فهو مذهب إنتشر في بلاد المغرب وكانت الدولة الرستمية على هذا المذهب، فظهر هذا الأخير في بلاد السودان الغربي بفضل جهود الدعاة والتجار الإباضين، حيث وردت في كتب السير والرحالة أسماء عديدة لتجار ودعاة الذين كان لهم دور كبير في نشر وترسيخ المذهب الإباضي، حيث هاجروا من المغرب واستقروا في السودان الغربي فمنهم من مات هناك ودفن ومنهم من عاد إلى بلاده [1]

فلقد تحدث الدرجيني في كتابه عن بعض التجار الذين سافروا إلى السودان الغربي لغرض التجارة، فقد كان منهم فلحون بن إسحاق بن واسين الذي قام بزيارة غانة عن طريق سجلماسة وتوفي هناك[2] كما يؤكد الشماخي المذهب الإباضي كان هو السائد في البلاد السودانية إلا أنه زال

[1]– خالدي مسعود، **وسائل انتشار الإسلام في السودان من القرن الأول إلى الخامس الهجريين السابع إلى الحادي عشر الميلاديين**، رسالة ماجستير، إش: بوبة مجاني، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 1412هـ/2000، ص، 58

2– الدرجيني بن سعيد، **طبقات المشايخ بالمغرب**.ج: 1، تح: إبراهيم طلابي، د.ن، د.ط، د.م .ن، ص، 267.

بين مذاهب المخالفين لهم منها المالكية، ويقول في هذا الصدد: "بلاد السودان بغالة وما يليها كانت تدين بالمذهب الإباضي حتى تسامع به المخالفون فقصدوها من كل صوب فردوهم إلى مذهبهم ويذكر الادريسي أن الاباضية هم أول قام بالدعوة الإسلامية في السودان العربي قبل وصول الأعداد الكبيرة من أصحاب المذاهب من أصحاب المذاهب الأخرى، فيقول: إن تجار وارجلان يتحولان في السودان إلى غانة وونقارة وهم وهابية اباضية[1] وكانت هناك معاملات وعلاقات بين الدولة الرستمية وملاك السودان العربي، خاصة في الجانب الاقتصادي، عما أراد أفلح بن عبد الوهاب السفر إلى غار فكان مشروعه من أجل ترتيب علاقات تجارية في شهرت مع دولة عام واعتماد تخالف دعوي لكن هذا التحالف لا يكتمل.

ولقد برز فقهاء الإباضية في ميدان الدعوة بفضل سلوكهم الحضاري الذي تميزوا به، والذي أدهش التجار السودانيين وملوكهم، وكذلك أخلاقهم الطيبة وحس معاشرهم وصدقهم، حيث كانوا أفضل دعاة للإسلام والمذهب الإباضي الذي يمثله، وهو ربما السبب الذي جعل هذا المذهب مقتصرا على مناطق تواحد تجار الإباضية دون سواهم بالإضافة إلى دورهم الديني في نشر الإسلام، فقد ساهم الخوارج جانب كبير في الجانب الاقتصادي بحكم ممارستهم للتجارة الصحراوية الرابطة بين مدن المغرب الإسلامي وبلاد السودان خاصة بعدما تخالف خوارج الإباضية في شهرت والصمرية في سجلماسة على احتكار التجارة مع السودان إلى درجة لأصبح فيها من الصعب التفريق بين الإباضية والصفرية.[2]

2- إنتقال المذهب الشيعي إلى بلاد السودان:

المذهب الشيعي المنتشر في بلاد المغرب المذهب الاسماعيلي، وبفضل جهود دعاته بالمشرق تأسست الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، وبدأ انتشار ثقافة الدولة الفاطمية في بلاد السودان الغربي مع بداية الدعوة الاسماعيلية ونجاح أبو عبد الله الشيعي في الوصول إلى سجلماسة، وقد تكون قبيلة لمطة مكي التي نقلت التأثيرات الثقافية من صحراء الملثمين إلى تلك المنطقة وضمنها المذهب الشيعي

[1] - الإدريسي أبو عبد اهلل الشريف، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. تح: إسماعيل العريب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 296.

[2] -الإدريسي، المصدر نفسه، ص296,297.

الذي قد يكون اللمطيين تبنوه مباشرة بعد اعتناق بني عمومتهم له في أوغست على يد أبي عبد الله الشيعي[1]فالمذهب الشيعي لم يكن له الحظ الوافر في انتشار في هذه البلاد وهذا لعدة عوامل منها وأنه بالرغم من قوة الدولة الفاطمية واتساع نفوذها بالعالم الإسلامي إلا أنها لم يكن لها تأثير ثقافي كبير على بلاد السودان، فقد ساهمت وساعات عدة عوامل دينية وسياسية واجتماعية في الحد من انتشار المذهب الشيعي ببلاد الصحراء خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية، وبعد مطاردة أبي عبد الله الشيعي لهم لجئوا إلى الكثير من المراكز التجارية بالصحراء مثل ورجلان وسدراته، مما جعلهم يتحكمون في تجارة القوافل خلال القرن 4-5هـ / 10-11م، كما كانت المنافسة السياسية الشديدة بين الدولة الأموية بالأندلس والدولة الفاطمية من أجل السيطرة على بلاد المغرب، بالإضافة أيضا منع مرور القوافل التجارية الفاطمية إلى بلاد السودان العربي من طرق القبائل الزناتية الموالية للأمويين والمعادية للقبائل الصنهاجية بالصحراء [2].

ويمكن القول أن معظم المذاهب سواء السنية أو الشيعية لم يكن بقاؤها هناك بصفة دائمة وهذا راجع إلى عوامل أدت إلى إنهزام معظم المذاهب أمام المذهب المالكي الذي حقق إنتصارا واسع على حسابهم. أما فيما يخص المذاهب الأخرى غير المالكية أو الخارجية فلا نكاد نجد لها أثرا في المنطقة حيث لا توجد تأثيرات مذهبية للحنابلة والأحناف والشافعية، أو حتى الفرق الكلامية كالمعتزلة والأشعرية [3] ومع ذلك توجد بعض الإشارات القليلة جدا التي تدل على وجودها وفي مجال محدود، فقد ورد لدى القلقشندي عند حديثه عن أحد سلاطين كاتم أنه من الشافعية ويرجع نسبه إلى أهل البيت وسلطان كانم من نسب قدتم في الإسلام أو قد جاء من أدعى النسب العلوي من بني الحسن وتمذهب المذهب[4].

---

[1]- ناني ولد حسين ،صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف ق 2هـ إلى نهاية ق 5هـ. تح: محمد حجي ،بيروت ،دار المدار الإسلامي ،ط 1,2007،ص،482.

[2]- عواشرية خولة، **انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي و سنغاي بين القرنين(2-9هـ / 8-15م)**. مذكرة ماستر

في التاريخ الوسيط، إش: خالدي مسعود، جامعة 8 مام 1945، قالمة، 2017/2016م، ص ص: 82-83.

[3]- خالدي مسعود، مرجع نفسه، ص: 68، 72.

[4]- القلقشندي أبو العباس، **صبح الأعشا في صناعة الانشا**. ج5، تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص 275.

ثانيا– بعد ظهور المذهب المالكي

بفضل التجار والفقهاء المغاربة الذين اجتازوا الصحراء تنقلت التأثيرات الثقافية المغربية معهم. وبما أن المذهب المالكي هو السائد في بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري كان من الطبيعي كما أسلفنا ذكره أن ينتقل إلى بلاد السودان. فمنذ القرن الثاني للهجرة ومع حكم الأغالبة بدأ المذهب المالكي يتسرب إلى مناطق جنوب الصحراء ولكنه أصبح المذهب الغالب في ممالك السودان الغربي منذ دخول المرابطين إلى غانة.[1]

1– المذهب المالكي في مملكة غانة الإسلامية

انتشر المذهب المالكي في غانة بعد دخول المرابطين للمملكة، وكان تأثير تعاليم عبد الله بن ياسين واضحا يتمثل في التزام أهل السودان بأمور الدين وأداء فريضة الحج. أشار ابن بطوطة في رحلته إلى إلتزام أهل السودان بتعاليم الدين الحنيف ومواظبتهم على الصلوات والتزامهم بما في الجماعات وضرب أولادهم بوضع القيود في أرجلهم لعدم حفظهم القرآن وكانوا يستفتون الفقهاء ويأتمرون بأمرهم بل أن من لجأ إلى المسجد أو دار فقيه أو الخطيب أمن العقاب ولم يتعرض لسوء.[2]

وتجلى انتشار المذهب المالكي في مملكة غانة مع ظهور المرابطين. فالدعوة الإصلاحية التي قادها عبد الله بن ياسين بدأت بإنشاء الرباط، والذي أقيم ببلاد التكرور وكان دوره في تكوين الدعاة والفقهاء وبفضلهم أسلم على أيديهم كل من ملك التكرور وسلي وكبرى القبائل الوثنية بالمنطقة.[3]

2– المذهب المالكي في مملكة مالي:

دخل المذهب المالكي إلى السودان الغربي بواسطة علماء المغرب، حيث انتشرت كتب المالكية مثل الموطأ للإمام مالك، ومدونة سحنون والمدارك للقاضي عياض وغيرها ودرست في مساجد

[1]– محمد أبو محمد إمام: **سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية**، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا، 26 نوفمبر 2006، ص 96.

[2]– ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، مي 704

[3]– –عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 515 هـ / 1083–1121م**، دار الغرب الإسلامي (د ط)، 1988، بيروت ص 150

تنبكت وجني وغاو.[1] ومما يظهر انتشار الثقافة الإسلامية على المذهب المالكي، أن منسى موسى أعظم سلاطين مالي لما كان مارا بالقاهرة عند رحلته إلى الحج اشترى كتبا لنقلها إلى بلاده وتعزيز الجانب الثقافي بما وهكذا تعددت الأسباب وأدت إلى انتشار المذهب المالكي وفي كل البلاد السودانية زمن سلطة مملكة مالي الإسلامية[2].

3- المذهب المالكي في مملكة صنغاي:

ولقد ساعد في إنتشار المذهب المالكي في عهد مملكة صنغاي هو تولي عديد من فقهائه الخطط الدينية وفي مقدمتها خطة القضاء والفتيا. وكان يعينون من طرف الإسكيا، وقد تولى القضاء عدد كبير من العلماء في مدن تنبكت وجاو وجني. ففي مدينة تنبكت تولى القضاء أفراد من أسرة آل آقيت منهم القاضي محمود بن عمر بن محمد آقيت 868 -955 هـ/ 1448-1464 م اشتهر بالعلم والصلاح والفقه.

4- المذهب المالكي في مملكة كانم – برنو:

كانت التأثيرات المالكية في مملكة كانم – برنو واضحة وبدرجة كبيرة نتيجة لمجهودات العلماء والفقهاء، منهم الفقيه محمد بن ماني الذي أسلم على يديه سلكان كانم " أومي عبد الجليل" كما وفدت إلى كانم مجموعة من علماء المالكية من المغرب لتعليم القرآن والشريعة الإسلامية منهم مخلوف البلبالي ومحمد بن أحمد التازختي.[3]

إن تمسك سكان المغرب بالمذهب المالكي ورفضهم لبقية المذاهب السنية الأخرى كالمذهب الحنفي، ساعد على إنتشاره في السودان منذ القرن الثاني للهجرة. بعد سيادة المذهب المالكي في المغرب خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، كان من الطبيعي أن يتنقل إلى السودان مع المؤثرات المغاربية.

---

[1]- البكري، مرجع نفسه ص 197

[2] عصمت عبد اللطيف دندش ،المرجع السابق ص150.

[3]- احمد جعفري، **المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب – قراءة في المصادر العربية والإفريقية– ما بين القرنين (08هـ–11هـ/14م–17م)**، مجلة آفاق علمية، مجلد 12 عدد01، جامعة غرداية (قسم التاريخ– كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020ص 2

أصبح المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للممالك الإسلامية التي قامت ببلاد السودان الغربي، وساد بلاد غانة الإسلامية بعد دخول المرابطين، وتجلى في مملكة مالي في عهد السلطان منسى موسى الذي يفتخر بالانتماء إليه[1]، أما في صنغاي فقد رسخ المذهب المالكي بفضل العدد الكبير من العلماء والفقهاء والذين ينتمون لأسر علمية مشهورة كأسرة آل آقيت وأسرة بغيغ و بروز عدد من العلماء والفقهاء عرفوا بنفوقهم العلمي في الفقه المالكي أشهرهم أحمد بابا التنبكتي وعبد الكريم المغيلي المعروف بنصائحه الشرعية لحكام الدول السودانية حول نظام الحكم[2].

إن انتشار الكتب للمالكية والتي وجدت رواجا في السودان الغربي وهي الكتب نفسها المتداولة في المغرب منه المدونة لسحنون وموطأ مالك وشرح أبي خليل والمعيار للونشريسي والرسالة لأبي زيد القيرواني، لا توجد تأثيرات مذهبية أخرى خاصة السنية كالمذهب الحنفي والحنبلي والشافعي وحتى للعمل الكلامي بها كالمعتزلة والأشعرية لعدم انتشارها في بلاد المغرب بل التصدي لها.[3]

المبحث الثاني: أوضاع السودان الغربي الثقافية بعد ظهور المذهب المالكي

أولا– اللغة

نتيجة احتكاك السودانيين بعلماء العرب ازداد المستوى الثقافي لعلماء السودان وتقدماً في رحلة الحجاز المارة بمصر، وعبر عن ذلك الألوري فقال: " صاروا يؤلفون ويقرضون الشعر، ومؤلفاتهم تضاهي مؤلفات أبناء العرب في الأساليب والتراكيب كذلك أخذ أهل نيجيريا من الأدب العربي قدر ما يمكن للعجم أمثالهم أن يأخذوا، وأخذوه على هيئة ما كان في البلاد العربية كافة في ذلك العصر،"[4].

بمجرد دخول الإسلام ظهر تأثير المجاورة في المجال العلمي على اللغة العربية، فقد انتشر انتشاراً واسعاً وكبيراً في بلاد السودان الغربي، وكانت اللغة العربية هي اللغة التي خاطب به تلك الشعوب

[1] احمد جعفري، المرجع نفسه ص 21.

[2] احمد جعفري، المرجع نفسه ص 21.

[3]– احمد جعفري، المرجع نفسه ص 21،

[4]– آدم عبد الله الألوري: **الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي**، نشر عبد الحميد أحمد، – حنفي، مصر (د–ت) ص. 42

للدخول فيه، ولهذا السبب لاقت اللغة العربية احترمها سكان السودان الغربي، لكونها لغة القرآن الكريم[1]، ولأنها مرتبطة بالشعائر الدينية، وبخاصة الصلاة ومناسك الحج، ولحاجتهم إليها لمعرفة أحكام الدين الإسلامي ومختلف الأمور والمسائل الفقهية، وعن طريقها يتم تعلم مختلف العلوم والمعارف، بوصفها لغة القرآن الكريم، قال تعالى: « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون».[2]

لما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والمصدر الأول للشريعة الإسلامية وبذلك انتشرت اللغة العربية،، وكان تعلمها واجبا لمن اراد الدخول للإسلام حتى يستطيع معرفة الأمور الدينية، ويمارس شعائرها كقراءة القرآن الكريم وأداء العبادات، ومناسك الحج وشعائره، والتلبية ووكذلك الدعاء لدلك حرص العلماء وطلاب العلم من حجاج مشايخ الحرمين وحضروا مجالس حلقات العلم والدروس التي كانت تلقى بالعربية دراسة وكتابة. فأتقن العلماء عديد العلوم باللغة العربية واجادوا كما دونوا نبوغهم وتفاعلهم، مع لغة القرآن الكريم[3].

كان الفربا سليمان، ومن سلاطين السودان الغربي من يجيد العربية، وقد جالس وصاحبه ابن بطوطة في أثناء زيارته لمالي[4]، فذكر أنه كان يجيد العربية، وسلطان مالي منسى موسى في أثناء أدائه لفريضة الحج الذي كان يتحدث باللسان العربي، واتضح ذلك [5]، كما أنه رسم اللغة العربية كلغة رسمية عند عودته لمملكته وأمر الدواوين والسفارات اعتمدت اللغة العربية كلغة للتدوين والتخاطب تأثرا بما وقف عليه في نظم مصر والحجاز لقد أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في بلاد السودان الغربي لغة للمعارف والعلوم والثقافة لغة القرآن الكريم،، ويقول المؤرخ هوبير ديشان: "إن منطقة غربي

[1] ادم عبد الله الالوري، المرجع نفسه ص 42.

[2] –سورة يوسف، الآية رقم 2.

[3]– ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، شرحها وكتب هوامشها طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1423 هـ / 2002 م.ص 701، 702.

[4] ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي، المرجع نفسه ص 702.

[5]– هوبير ديشان، الديانات **في افريقيا السودان**، ترجمة احمد صادق، دار كتاب المصري، القاهرة 1376هـ–1956 ص 132.

إفريقيا لم تكتف بدخول الإسلام، طبعت بطابع عربي، بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد"[1]، كما نسخت المخطوطات، وعممت تعليم الطلاب باللغة العربية فكانت اداة لثقافة الاسلامية وتطورا كبيرا لها في بلاد السودان الغربي.

عندما كان سكان السودان الغربي يقومون بالرحلة الى بلاد الإسلام، لأداء فريضة الحج كان بعضهم يغتنمون فرصة لطلب العلم والتفقه[2] في الدين، وكانوا يحرصون على ارتياد حلقات العلم، في المساجد، والمدارس، والزوايا المنتشرة على طول الطريق، وحتى الحجاز والتي كانت السبب احيانا مرافقة العلماء لركب الحجيج إلى إفريقيا الغربية فكانت لرحلة الحج دور مهم في اندماج السودان الغربي روحا وفكرا وحضارة بالعالم الإسلامي[3].

ثانيا– انتشار العلوم والانتاج الفكري:

قبل مجيء الاسلام، كان المجتمع الإفريقي يعيش حياة فكرية محدودة تقريبا، ويظهر ذلك من خلال آدابهم التي كان يغلب عليها الطابع الأسطوري والتي تمثلت في كل من الروايات الشفوية التي تروي بطولات القبائل وحروب الملوك والرؤساء، لكن هذا كان في فترة سابقة لمجيئ الإسلام للمنطقة.[4]

1 – الفقه:

فبدخول الإسلام وتوغله في بلاد السودان الغربي أصبح المجتمع الإفريقي، يعرف تحسنافي الجانب العلمي والمعرفي، متأثرا في ذلك بما كان يحمله العلماء المسلمين من علم وثقافة فكرية متطورة،

[1]– تقي الدين المقريزي: **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1955، ص 143.

[2] تقي الدين المقريزي المصدر نفسه ،ص 143.

[3] تقي الدين المقريزي، المصدر نفسه ،ص 143.

[4]– عبد القادر زباديه، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي فير إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص.154

حيث انتشر في السودان الغربي العديد من العلوم كالنحو والصرف والفقه والتاريخ والتي أقبل عليها السودانيين إقبالا كبير.[1]

ونظرا لإقبال السودانيين على العلم وشغفهم به، فقد درس العديد منهم على يد المسلمين في بلاد الأفارقة، سواء كان ذلك في السودان الغربي أو في مختلف حواضر العالم الإسلامي، من أجل تلقى تلك العلوم والتعمق فيها مثل "فاس، الأزهر القرويين، تلمسان، وعلى أثر ذلك ظهر علماء سودانيين بارعين في الفقه، أمثال: أحمد بابا التمبكتي الذي ترك

كتابات عديدة في هذا المجال، والتي استفاد منها العديد من الطلبة السودانيين، إذا قدرت مؤلفاته ما يزيد عن أربعين مؤلفا في الفقه المالكي والنحو من بينها نذكر كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، ويحمل هذا الكتاب عدة تسميات أخرى منها تكملة الديباج، ونيل الابتهاج وتوشيح الديباج، وترتيبه حسب الحروف الأبجدية، وتناول فيه سير فقهاء المالكية ممن ليس في دباج ابن فرحون المالكي وقد تم نشر هذا الكتاب في فاس، وطبع في القاهرة.[2]

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى مثل: الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، كما له شرح مختصر الخليل وكفاية المحتاج ومعراج الصعود والذي يعرف كذلك بإسم نيل حكم مجلوب السودان، ونظرا لتمكنه في هذا المجال أصبحت مكتباته غنية بكتب الفقه بالإضافة إلى المجلدات والمخطوطات.[3]

ومن بين العلماء الذين ساهموا في إقبال الطلبة السودانيين علي التعمق في مجال الفقه واللغة، عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي ترك عدة كتابات، إذ ترك ما يعادل أربعة عشر مؤلفا معظمها في علوم الفقه واللغة وقد أثرت كتاباته ايجابيا على هؤلاء الطلبة، إذ لم يجدوا أي صعوبة في تلقي هذا العلم، حتى أصبحوا على درجة واسعة في معرفته وإتقانه.[4]

---

[1]- قداح نعيم، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، ص ص.145

[2]- قداح نعيم، المرجع نفسه، ص،145.

[3]- المرجع نفسه ص 145.

[4]- سليماني يوسف: المرجع السابق، ص.155

ومن بين الكتابات التي تركها عبد الكريم المغيلي نذكر:

- البدر المنير في علوم التفسير.
- تفسير الفاتحة.
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح.
- شرح مختصر الخليل.
- اكليل مغني النبيل، وهو حاشية على مختصر الخليل.
- رسالة في البيوع شملها مفتاح الكنوز.
- ايضاح السبيل في بيوع اجال خليل.
- شرح بيوع الآجال كتفسير على كتب ابن الحاجب في هذا الموضوع.
- رسالة في المنهيات.
- قصيدة ميمية في مدح الرسول، على وزن البردة.
- منهج الوهاب.
- رسالة الامراء كانوا مكر المسلمين بدعوة مقامات العارفين.

واذا يتضح لنا، مدى أهمية الإنتاج التأليفي الذي تركه المغيلي في مجال الفقه واللغة، كما اعتبرت كتاباته خاصة رسالة إلى ملوك كانوا وكذلك إجابته علي الأسقيا محمد توري بمثابة خطوة للتعريف بالأوضاع السياسية والاجتماعية في بلاد صنغاي، فمن خلال تلك الرسالة استطعنا التعرف على مدى حرص الأسقيا على تغير الأوضاع التي تسود مملكة صنغاي، وعلى المعتقدات او الأفكار التي أصبحت تسيطر على فكرهم كعبادة الأشجار والأصنام وغيرها، بالإضافة إلى ذلك اتضح لنا مدى حرص الأسقيا على:

- حرصه على تغيير الاوضاع التي ألت إليه صنغاي.
- تغيير المعتقدات والافكار، وهكذا اعتبرت أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي مخطوطا هام في معرفة الأوضاع بالسودان الغربي، كما يوضح مدى التوسع الفكري والديني لعبد الكريم المغيلي.[1]

[1]- البرتلي، مرجع سبق ذكره، ص.255

2– التاريخ والتراجم:

من أهم الكتب التاريخية العربية والخاصة بالسودان الغربي حيث انتشرت العديد من الكتب عن الفقهاء المالكية التي تستعمل كمرجعية الى يومنا هذا تعود لكل من عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب "تاريخ السودان"، والقاضي محمود كعت صاحب كتاب "الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار"، وكذلك كتاب "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان " لمحمود كعت الثالث، وألف محمد بلو في التاريخ كتاب "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور"، بالإضافة لكتاب أحمد بابا التمبكتي " نيل الابتهاج بتطريز الديباج وكتابه الآخر كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج".

وأغلب هذه الكتب ضمت تراجم لعلماء المالكية خاصة في السودان الغربي والمغرب والأندلس، كما ضمت معلومات تخص الحياة التعليمية من حيث المدارس والمؤلفات والحركة الثقافية وكذلك الأوضاع السياسية[1]

3– حواضر السودان الغربي:

إن توسع الحركة العلمية بالسودان الغربي نتج عنه ظهور حواضر علمية ساهمت بشكل كبير في التطور العلمي والثقافي بالمنطقة إذ باتت مركز استقطاب للعلماء والفقهاء والمفكرين ومنارة للعلم وكان أثرها بارزا في نشر الثقافة الإسلامية ومن بين المحطات العلمية التي كانت لها الدور البارز في الميدان نذكر منها تنبكت، جني، ولاته:

– حاضرة تمبكتو:

يسمى هذا الإقليم باسم عاصمته تبكتوا التي بناها الملك منسا سليمان حوالي عام 610 هجري الموافق لعام 1200 الميلادي ولا تبتعد هذه المدينة عن ضفاف ر النيجر إلا بنحو أربعة فراس[2]لقد تأسست على يد الطوارق مقشرن في أواخر القرن 5ه فجعلوها موطن لهم في وقت الصيف في

[1]– مبارك جعفري، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد القرن 13 19ه/ م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حوتية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2 2013 – 2014م، ص –22. 23

[2]– مرمول كربخال، **إفريقيا**، د ار المعرفة، ج3 الرباط 2008 ص 201

ساحل البحر وبقرية امضغ يقطنون وفي وقت الخريف ينزحون الى اروان ويغيرون وهي حدهم في العوالي ثم اختاروا أماكن من هذه البلدة المميزة بطبيعتها الجميلة وأرض طاهرة مأوى لجوء للعلماء والعابدين والأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار، فكانت مرتعهم ومتاعهم وخزينهم للمزروعات، إلى أن أصبحت مسلك لسالكين في ذهابهم وايابهم. دنستها عبادة الأوثان ولا سجدة لغير الله تعالى وقد اصبحت معبر للعابرين مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين.

– حاضرة جنني:

أسست هذه المدينة على نهر النيجر الأعلى في منتصف القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة حوالي سنة 800 وأسلم أميرها كبير المرابطين وجدت الرعية ومن ثم إسلامها في نهاية القرن السادس الهجري.[1] وقال السعدي إن االله تعالى قد وجه لهذه الأرض الطيبة سكان من العلماء الصالحين من غير أهله من القبائل متعددة ومختلفة وبلاد أخرى منهم مورمغ كنكي، أصله من قرية بين بيغ وكوكو فارتحل الى كابير لطلب العلم ثم رحل إلى جنى من أواسط ق 9.الظهر كذالك إلى صلاة العصر هكذا.[2] كما إن العملة الرسمية على البلاد مصنوعة من الذهب الخام إلا إن الأهالي يتداولون فيها بينهم نقود من الحديد يزن بعضها رطلا ومنها كذلك قطع وزانها أربع أوقيات.[3]

– حاضرة ولاته:

هي الحاضرة الأم العتيقة الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي الموريتاني الحالي وقد أسست القرن 02 هجري وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية غير السودان وتعني باللغة السودانية مدخل المدينة.[4] كانت ولاته عبارة عن قصر صغير ضمن إمبراطورية غانا وكانت تحمل اسم بيرو في البداية القرن الثالث عشر ميلادي سقطت غانا تحت نير رئيس قبائل الصوصو فهاجروا وجارها إلى

[1]– عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 –515هـ/ 1038 –1121م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 160 – 161

[2]– السعدي عبد الرحمن، **تاريخ السودان**، هوداس، باريس،1981 ص 16

[3]– نفس المرجع أعلاه، ص 113

[4]– حماه االله ولد سالم، **تاريخ بلاد الشنقيطي**، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 2010 ص 236

بيرو عمل تدفق المهاجرين ونشاطهم التجاري على تحول هذه الدشرة الصغيرة الزنجية إلى مدينة كبيرة غنية والنشيطة بل عاصمة الحركة التجارية الساحلية خلال سبعة قرون.[1]

[1]- بن منوفي أسماء، **الحواضر العلمية في السودان الغربي ولاته نموذجا ما بين القرنين 7 –13هـ / 13–19 م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، إشراف برمكي محمد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية قسم العلوم الإنسانية (د.ب.ن)، 2018 – 2019 م، ص20

الفصل الثاني

مراحل انتشار المذهب المالكي

المبحث الأول: نشأة المذهب المالكي

1- تعريف المذهب المالكي

2- المناطق التي ذاع فيها انتشار المذهب المالكي

المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب المالكي

1- عوامل داخلية لانتشار المذهب المالكي

2 - عوامل الخارجية لانتشار المذهب المالكي

المبحث الثالث: مرحلة سيادة المذهب المالكي

1- أعلام هذه المرحلة

2- الطرق التي ساد بها المذهب المالكي

المبحث الأول: نشأة المذهب المالكي

أولا– تعريف المذهب المالكي:

ظهرت أهمية المذاهب الفقهية في الشرق الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي حين امتدت الفتوحات الإسلامية لتشمل دولاً عديدة وأجناساً متباينة، لها تقاليد وأعراف جديدة مما استدعى تغيير احكام التي كانت منتشرة قبل ذلك.[1]

يعتبر المذهب المالكي أحد المذاهب الإسلامية التي عرفت انتشارا واسعا ببلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس، وضع أسمه مالك بن أنس رحمه الله وكذلك كان يلقب بالإمام دار الهجرة، وهو مذهب يأخذ بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وكان له انتشار واسع حتى أنه وصل إلى جنوب الصحراء ومنها إلى السودان الغربي الذي هو موضوع بحثنا، والسودان الغربي كما هو معلوم يضم عدة ممالك، وهذه الممالك انتشر فيها المذهب انتشارا واسعا، وكان الفضل في ذلك إلى المغرب الذي يعتبر المصدر الأساسي في انتقال المذهب إلى السودان الغربي، وفي هذا الفصل سنتطرق لإعطاء لمحة عن صاحب المذهب ثم الحديث عن أهم العوامل التي ساعدت على انتقاله وانتشاره بالمنطقة، وأهم الممالك التي انتشر فيها.

1– نسب الإمام مالك:

ابو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي الحميري المدني، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب الأربعة، أما مولده ففيه اختلاف في تاريخه، والأشهر هو سنة 93 هـ/711 م بالمدينة المنورة[2].

---

[1]– ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المتوفى عام 751 هـ / 1350م " **أعلام الموقعين عن رب العالمين"**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973 م، ص 21

2– ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح وتع: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، مدرسة الحديث بجامعة الأزهر، القاهرة، دار التراث، ص 82.

2- نشأته:

نشأ الإمام مالك في بيت اهتم بالعلم والتعليم، أين تعلم رواية أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في المدينة، حيث أنه وجد نفسه في بيئة مفعمة بالعلم، فالمدينة كانت منبع العلم وهذا من خلال تواجد الصحابة والعلماء فيها، فتوجه مالك نحو طلب العلم بتوجيه من أمه، فانصرف إلى عدد العلماء وأبرزهم ربيعة[1]وابن هرمز[2]وعرف مالك برسوخه في العلم ومنشورته لأهل العلم قبل التعليم، حيث كان قبل أن يصدر فتوى يستشير أشياخه في ذلك، حيث أنه عرض على علماء المدينة أول مصنف في السنة، فوافق عليه فسماه الموطأ لتواطأ العلماء على ما فيه[3].

ثانيا- المناطق التي ذاع فيها انتشار المذهب المالكي.

انتقل المذهب المالكي الذي ساد في الحجاز واصبح نظاماً عاماً للمجتمعات الإسلامية، بما فيها الدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي[4]، مصر وإفريقية والأندلس والمغرب الأقصى. ويهتم المذهب بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية كافة. وللمذهب المالكي الفضل في بناء صرح الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بها. وقد تقلص المذهب المالكي في الحج مهد ظهوره، ولكنه لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي، حيث توطدت أركانه، وقويت دعائمه، حتى أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في تلك الربوع.[5]

ويرجع انتشار المذهب المالكي إلى تمسكه بنصوص وتشريعات الكتاب والسنة، ومحاربة البدع، بالإضافة إلى تشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين. دخل المذهب المالكي إلى إفريقية خلال الفترة المبكرة من بداية ظهوره، وخلال حياة الإمام مالك، وعلى أيدي تلامذته من تلك المنطقة، ونذكر

---

[1]- ربيعة بن أبي عبد الرحمان فروخ: ويكني أبا عثمان وهو من موالي آل منكدر فقيه عالم فريد متميز، قوم البيان، حسن الكلام ينظر: ص63.

[2]- قادة بن علي، " **التعريف بالمذهب المالكي**" مجلة الثقافة الإسلامية، ع1، 2005، الجزائر، ص 65

عبد الرحمان بن هرمز الأعرج: أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، من التابعين رويعن أبي هريرة وغيرهم. الصحابة رضوان الله عنه.

[3]- أحمد بن محمد بونوة، **الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس**، مقال منشورفي شبكة الألوكة، 1438/ 2017، ص: 11.

[4]- عبد الرحمن السعدي، **تاريخ السودان**، طبعة هوادس، باريس، 1981، ص9.

[5] عبد الرحمن السعدي، المرجع السابق ،ص 9.

منهم على بن زياد المتوفى عام (183 هـ / 799 م) الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب، بالإضافة إلى البهلول بن راشد (128-183هـ / 740-799م) وعبد الله بن فروخ (110-176 هـ / 728-792م) الذي أخذ عن الإمام مالك نفسه، وغيرهم من علماء إفريقية الأوائل ".[1]

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى على عهد إدريس بن عبد الله (172-231هـ /783-828م)، لم ينتشر هنالك بشكل كبير إلا مع ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، على أيدي دارس بن إسماعيل المتوفى عام (357هـ / 967م) وفي بعض الروايات أول من جاء بمدونة الإمام سحنون إلى تلك البلاد. كما انتشر في الأندلس التي كان أهلها على مذهب الإمام الأوزاعي، بعد أن ارتحلت جموع غفيرة من طلبة الأندلس لتلقى العلم والفقه على يد مالك بن أنس، ومنهم عبد الرحمن المعروف بشبطون المتوفى عام (212 هـ / 827 م) الذي أدخل الموطأ إلى تلك البلاد، وكذلك سعيد بن أبي هند الذي أطلق عليه الإمام مالك (حكيم الأندلس)، والفقيه سعيد بن عبدوس المتوفى عام (180 هـ / 796 م) الذي عمل على نشر المذهب المالكي حتى وفاته، وأصبح للمذهب المالكي الاغلبية في الأندلس بفضل هذه الجهود[2]

المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب المالكي

أولا- عوامل داخلية لإنتشار المذهب المالكي

1- تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية

نهاية هذا القرن كان لأصحاب المذاهب الإسلامية دور وإسهام كبير وواضح في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، خلال القرن 2 هـ / 8 م، ففي هذه الفترة كان لأصحاب التجارة دور كبير في نشر الإسلام، وكذلك دور السلطة السياسية في الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي وتوفير الأمن على طول الطرق التجارية، واستمر نشاط تجار هذه الفرق الداعية للإسلام خلال القرن انتهى دور الخوارج الصفرية في السودان الغربي بسقوط دولتهم في سجلماسة سنة 297 هـ / 909

[1] عبد الرحمن سعدي، المرجع نفسه ص9,10.

[2] عبد الرحمن السعدي ،المرجع السابق ،ص 22.

م، كما ضعفت الإباضية بعد سقوط دولتهم في تيهرت سنة 296 م / 908 م، وكان هذا بسبب قيام الدولة الفاطمية لشعبه في المغرب[1].

فقد سعت تلك الدولة جاهدة من أجل بسط وسيطرة نفوذها على العالم الإسلامي بشكل عام، فكانت توجد رغبة لدى حلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى، وهذا من خلال الحصول على كميات كبيرة من الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملتهم. لكن فشلت في ذلك ولا تستطلع في بسط نفوذهم، كما فشلت في نشر مذهبها في بلاد المغرب وبالتالي في بلاد السودان الغربي[2]

وشهد القرن 5هـ-11ماستمرار النشاط تجار السنة المالكية في بلاد السودان العربي مع الغياب التام التجار الفرق الإسلامية الأخرى، وفي هذا القرن قام المرابطون بدور دعوى في تلك البلاد ونشروا الإسلام على أساس المذهب المالكي، ولذلك حدث الشعار المذهب المالكي في تلك البلاد إذ أصبح مذهب الحكام ومحكومين.[3]

2- ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة أهل السودان الغربي:

لقد اختار أهل السودان الغربي مذهب الإمام مالك دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث بزغ مذهب مالك مع بدايات انتشار الإسلام بفضل جهود دعاته من المغاربة وأفراد أهله بالمذهب، كما شكل هذا المذهب عمقا ثقافيا في السودان الغربي مثلما شكل المذهب الحنفي عمقا ثقافيا في الدولة العباسية[4].

ومن أسباب اعتناق أهل السودان الغربي للمذهب المالكي، لأنه أقرب المذاهب الفقهية لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي، ولسهولة المذهب ووضوحه فهو مذهب يعتمد على القرآن الكريم،

---

[1]- سحر عنتر محمد مرجان، **فقهاء المالكية واثرها في السودان الغربي**، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، 1432هـ/2011م، **ص 102-101**

[2]- محمد أبو محمد إمام، نفس المرجع، ص92

[3]- حسين سيد عبد الله مراد، " **الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (2-6هـ / 8-12م)** ". معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 أفريل، 2015 م - ص 375

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مريحان، المرجع السابق، ص 102.

ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل، ويوثق الحديث بالقرآن[1]، فتلاءم هذا المذهب مع أهل السودان الغربي، وترك أثر في نفوسهم، لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكليف أو تعقيد، لأن أهل السودان الغربي كأهل المغرب يميلون إلى البساطة ولا يقبلون النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة، كما أن المذهب المالكي خلا من تداخل الآراء فبقى بعيدا عن الشوائب نقيا.[2]

يفسر تفضيل أهل السودان الغربي لمذهب الإمام مالك وسعي لمقاومة أعدائها من أهل البدع وأهل الأهواء من خلال تتبع آثارها قد تميزها بحساسية مفرطة تجاه مسألة السنة، كما أن المذهب المالكي يتميز بكثرة الاصول ربما جعلت أهل السودان الغربي يفضلونه، وأن هذه الأصول بين أيدي المفتي تسمح له باختيار أصلحها واقربها للعدل، وأكثرها توافقا مع الواقع الإفريقي، فالمذهب المالكي ملتزم بفقهه في العادات والمعاملات[3].

3- دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي:

ساعدت الظروف مجتمعة علي جعل مذهب الإمام مالك أمراً مقبولا من الوجهة السياسية لدى الحكام، ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أدت إلى توطين المذهب المالكي في منطقة السودان الغربي. فقد أصبح المذهب المالكي بفضل جهود هؤلاء الحكام أحد المقومات الأساسية للدول التي قامت في تلك المنطقة، فكان دور السلطة الحاكمة كبيراً في جمع أهالي السودان الغربي على مذهب واحد هو المذهب المالكي. ولذلك عملوا على نشره وأوجدوا له الحماية خوفاً من الفرق الأخرى سواء أكانت سياسية، أو اعتقادية، أو فرقاً شيعية، أو خارجية، وهذه الفرق قد ادت دورا في تشكيل المغرب المجاور جغرافيا لبلاد السودان الغربي.[4]

ثانيا: العوامل الخارجية:

---

[1]- محمد المختار محمد الماسي، **المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته)**، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2002 / 1422 ص 448

[2]- عمر الجيدي، نفس المرجع، ص ص - 165-169.

[3]- نجم الدين الثاني **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 55 / 11 م** تونس، نير زمان، 2004، ص 65

[4]- سحر عبير محمد أحمد مريحان، نفس المرجع، ص 114

إذا كان للعوامل الداخلية التي عرضنا لها أنفاً أثر كبير في التزام أهالي السودان الغربي بالمذهب المالكي وتمسكهم به وتوطنه في بلادهم، فإن للعوامل الخارجية والتي سنتعرض لها نفس الأثر، وأهم تلك العوامل هي:

1 ذيوع صيت الإمام مالك امام دار الهجرة:

وجد في المدينة المنورة العديد من التابعين والذين اتبعوا السيرة النبوية، ومن أمثالهم مالك بن أنس الذي علا كعبه في علوم شتى، وكان أعلمهم بسنة النبي صل الله عليه وسلم، فالمعروف عن مالك أنه لا يفتي إلا بما هو واضح ويأخذ الرواية الموثوق بها، وهذه الصفات أهلته ليكون محل ثقة وكذلك مقصد الكثير من طلبة العلم في كل الأقطاب[1]،كما يرجع تعلق أهل السودان الغربي بالمذهب المالكي أن صاحبه سكن المدينة موطن دار الهجرة، ولم يبرحها إلا حاجا[2]، لهذا جذبت المدينة المنورة عددا من أبناء السودان الغربي الذين أقاموا بها مجاورين الحرم المدني الشريف[3].

كذلك يرجع الفضل لشخصية صاحب المذهب بنفسه في توطين المذهب في البلاد، لأنه عرف عنه التمسك بالسنة ومحاربة البدع وتشبه التام بآثار الصحابة والتابعين، وحسن سيرته واستقامة سلوكه، هي التي حببته إلى قلوب أهل السودان الغربي فهذه الصفات.[4]

2- التأثير المغربي

تعتبر الجغرافية من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي، فتوجه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام وهذا عن طريق الصحراء الكبرى بالرغم من المشقة وأخطار الرحلة، وإذا كان هذا العامل الفضل في نشر الإسلام في تلك البلاد داخله الفضل

[1]- علي جمعة محمد، **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية** القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط 4، 1433 هـ / 2012 م، ص184.

[2]- عبد الرحمان الشرقاوي، **أئمة الفقه التسعة**. القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1411 هـ / 1991 م، ص 78.

[3]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع سبق ذكره، ص: 114..

[4]- محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره وآراءه وفقهه**. مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت. ص 931

أيضا في تسرب المذهب المالكي والعمل على نشره[1]، والتأثير المغربي كان موجود منذ القدم في بلاد السودان الغربي، ففي دولة غانا قبل دخولها الإسلام كان يوجد بها عدد كبير من المغاربة الذين تمتعوا بوضع اجتماعي ممتاز، فهم المقربون للملك، بحيث عينهم في مناصب هامة في الإدارة فكان ملك غانة يكن الاحترام والتقدير لهم، فجعل منهم مستشاريه، وعاملين على خزائنه[2].

وبفضل وجود تلك الفئة من المغاربة توطدت وقويت العلاقات والروابط بين سكان غانة والمغاربة الذين توافدوا عليها بشكل كبير من أجل المصالح الاقتصادية والتجارية المشتركة بينهم، واستمر توافدهم على بلاد السودان الغربي بوجه عام وغالة بوجه خاص، تحديدا في فترة سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى، إذ استمرت الاتصالات بين الدولتين وهذا من خلال المراسلات بين يوسف بن ناشفين وملك عانة، وأسهمت هذه الاتصالات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة من أهل العلم والفقهاء وقراء القرآن الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي).[3]

وهكذا كان للفقهاء المالكية والعائلات المغربية دور بارز في استقرار ز دعم المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، ولم يقتصر الأمر على تأثير مالكية المغاربة فقط بل كان لمالكية المشرق دور كبير أيضا في نشر المذهب المالكي في البلاد، وهذا من خلال رحلات الحج والرحلات العلمية[4].

كما كان لمدينة القيروان فضل كبير في نشر المذهب المالكي في البلاد، حتى ولو أن حضور الفقهاء المالكيين القيروانيين لم يكن مباشرا بصورة واضحة في المنطقة مباشرا إلا أنهم ساهموا في نشر المذهب في المنطقة بالكتب الفقهية المالكية، بالإضافة إلى فقهاء آخرين أخذوا العلم عن بعض الشيوخ المثقفين منهم الإمام سحنون وبن أبي زيد القيرواني[5].

---

[1]– محمد أمين مؤدب، جوانب من الصلات التقافية بين المغرب والغرب افريقيا، ندوة التواصل الثقافي بين اقطار افريقيا بين اقطار الصحراء، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1999، ص 588

[2]– حسين السيد عبد الله مراد، المرجع السابق ،ص380

[3]– حسين سيد عبد الله مراد، المرجع نفسه، ص266

[4]– سحر عنثر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص: 116-117.

[5]– أحمد قارح وأمين راهب، **القيروان ودورها في نشر المذهب المالكي بالمغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي (ق 2–8هـ)**. مذكرة ماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، 2015/2016، ص: 76

3. رحلات الحج والرحلات العلمية

لا يوجد شك حول أهمية الدور الذي لعبته رحلات قوافل الحج والتجارة والفقهاء في ازدهار بلاد السودان الغربي وكذلك في انتشار فقه المالكي وهذا ما سمح بتكور حياة البدو من نمط البداوة المرتحلة دوما إلى الاستقرار الدائم والاستعاضة عن وجود سلطة مركزية تحفظ الأمن لطريق الحجيج، وقد مكنت قوافل الحج من صهر الزنوج والبربر في الحضارة الإسلامية وهو ما تشهد عليه العديد من المخطوطات الموجودة في بلاد السودان الغربي، وقد لعبت هذه القوافل دورا مهما في إعمار حواضر السودان الغربي، وجعلها منارات للعلم والعلماء وذلك بتوظيف الفائض التجاري، لهذا الفرض المقدس عند المسلمين، وأصبحت بذلك القوافل مرتبطة ارتباط وثيق بركب الحجيج، حيث أصبح أحد الوسائل المهمة للاتصال بالمشرق العربي خاصة من خلال حمل المسائل الفقهية، والنوازل، وكل ما يتعلق بالحياة في هذه البلاد.[1]

وكثيرا ما ارتبط اسم مؤسس الدولة بهذه الشعيرة بحيث تضفي عليه مكانة اجتماعية وسياسية وفي نفس الوقت الدينية، فليس ثمة شك في ارتباط التأسيس الثاني لهذه الحواضر بالحج، حيث في الغالب ما يتم التأسيس عند عودة الحاج، وأغلب المدن الكبرى التي أسست أصبحت محطات لقوافل التجارة والحج معا وبالمقابل تراجعت المدن القديمة بين المغرب وبلاد السودان الغربي، وقد شكلت ولاتة أحد هذه النماذج لتوسطها بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي حيث ازدادت شهرتها لكونها مركز جذب للتجار العرب والبربر والزنوج من جهة ومن جهة أخرى كونها أصبحت من المحطات الرئيسية لقوافل الحج، وخصوصا بعد أن ابتدأ منها منسى موسى وأسكيا محمد رحلتيهما إلى الحج، وهذا ما جعلها تكون ملاذا آمنا للعلماء الفارين من بطش وتعسف حكام تمبكتو، كما أن مواكب الحج التكرورية لعبت دورا كبيرا في انتعاش التجارة مع مصر، حتى أن جاليات كبيرة من أهل التكرور استقرت في مصر وسكن منها في القرافة ثالثة آلاف شخص[2]. وقد لعبت رحلة الحج دروا كبيرا في تعزيز وتوطيد العالقات والصالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحتى الثقافية بين مصر وشعوب السودان الغربي، كانت رحلة منسا موسى للحج من أهم الرحلات التي قدمت من بلاد السودان الغربي لما

[1] –سحر عنتر محمد مرجان ،المرجع السابق ،ص 121.

[2] – التكروري بن عرفة، **العرف المشهور في حجاج بالد التكروري**، الخانجي، القاهرة، مصر. 1314 ص118

كان لها من انعكاسات على مختلف الجوانب[1]وعلى رأسها الاجتماعي والثقافي والديني وحتى السياسي

لقد اكتسب أهل السودان الغربي من خلال رحلاتهم ومشاهداتهم للعديد من حواضر العالم الإسلامي آنذاك الكثير من عادات وتقاليد هذه المدن وفي بعض الأحيان فاقوا من سبقهم في الإسلام في مدى التزامهم بحدود الشرع الإسلامي من أوامر ونواه. وقد سجل لنا العمري حاثة وقعت للسلطان منسى موسى في رحلته الشهيرة للحج إسماعيل بن عمر،[2] وعند لقائه للسلطان المملوكي في مصر في كونه رفض تقبيل الأرض بين يدي السلطان والسجود له، وأجابه بأن السجود ال يكون إلا الله وحده[3] ومن انعكاسات تلك الرحلة على السودان الغربي هي مسارعة منسى موس[4] لإقامة المساجد والمدارس لتحفيظ القرآن والحرص على جلب العلماء والفقهاء وإكثار العطاء لهم، حتى اشتهر بأنه يحب البيضان ويحسن إليهم، كما قال ذلك ابن بطوطة في معرض حديثه عن هذا السلطان وتمبوكتو وولاتة[5]، ولقد ظل الحج من المؤثرات الهامة لنقل العادات والتقاليد من مناطق العالم الإسلامي التي تعبرها قوافل الحجيج إلى بالد السودان الغربي.

المبحث الثالث: مرحلة سيادة المذهب المالكي

أولا– أعلام هذه المرحلة:

وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل(صقر قريش) (172- 180هـ / 788-796م) تم التمكين للمذهب المالكي في هذه البلاد، بعد أن الزم الناس على فرض بمذهب الإمام مالك. فظهرت المصنفات المالكية سواء في السند أو المتن أو عن مناقب الإمام مالك وتلاميذه،

[1]– فوزية يونس فتاح، **التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي**، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق 1994 ص88

[2]– بن كثيٍر إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، ج14، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 1977 ص112

[3]– العمري شهاب الدين بن فضل هللا، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** مج 4، المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة. 2001 ص33

[4] منسا موسى، الملك الاشرف الحاج مانسا موسى او كانجا موسى ولد حوالي 1280 وتوفى في 1337. هو المانسا العشر لمملكة مالي بين 1312و 1337.

[5]– السعدي عبد الرحمن بن عبد هللا بن عمران بن عامر، **تاريخ السودان**، بردين انجي، باريس، فرنسا. 1898 ص 21

بالإضافة إلى ظهور كتب النوازل والفتاوى التي تتضمن أحكاماً مالكية، حتى أصبح المذهب المالكي المذهب الذي يلجؤون اليه القضاة في قضاياهم. ومن هنا هيمن فقهاء المالكية على الثقافة الأندلسية حيث أصبح هذا المذهب يشكل عمقاً ثقافياً وعملاً تشريعياً.[1]

وهكذا أعانت المصادر في التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس ولكن هنا يختلف الأمر بالنسبة لبلاد السودان الغربي، حيث أن المادة المصدرية تعد معدومة لتعيين التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في تلك البلاد، ويزداد الأمر صعوبة مع رصد بعض المصادر لتحركات دعاة المغاربة الذين اتجهوا إلى السودان الغربي لنشر الإسلام بين السودانيين خاصة أن هؤلاء الدعاة ينتسبون إلى جماعات وفرق إسلامية متعددة شملت السنة والشيعة والخوارج.[2]

ثانيا– الطرق التي ساد بها المذهب المالكي:

كان للتجارة دور كبير في انتشار الإسلام واستمر تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية مع استمرار تسرب المذاهب الدينية المختلفة إلى السودان الغربي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، انتعشت تلك التجارة انتعاشا كبيراً بواسطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول مع ازدياد نمو النشاط التجاري للمغاربة على اختلاف مذاهبهم، ويفضل المنافسة بين الدويلات السياسية المستقلة من مدراريين ورستميين وأغالبة، ففي العهد الأغلبي استمر خروج القوافل التجارية من إفريقية وقد وصل حجمها إلى مائة جمل بأحمالها وأعوانها، فقد كانت القوافل المغربية تتوجه نحو مدينة سجلماسة ثم إدرار، ومن ادرار مرورا بأودغست إلى عاصمة غانة القديمة، أو تنطلق نحو بلاد التكرور وهي المناطق الخصبة والعامرة بالسكان في وادي نهر السنغال.[3]

وفي أواخر القرن الثالث الهجري وتحديداً بين عامي (296-297هـ/909-908م) قام الفاطميون (الشيعة) في القضاء على دولة الأغالبة، ثم قضوا على دولتي الخوارج المدرارية في سجلاسة والرستمية في تاهرت، ونتيجة للغزو الفاطمي الشيعي وبطشهم بالإباضية خاصة في المغرب الأوسط، وتفرق أهل تاهرت في واحات الصحراء لهم السيطرة على كل بلاد المغرب بعد أن قضوا على كل

[1]– عبد الرحمن السعدي، المرجع نفسه، ص22

[2]– ابن فرحون المالكي، المرجع السابق ص 89

[3]– سحر محمد عنتر، المرجع السابق ص 76

الدول المستقلة اصبح لهم السيطرة والتحكم في طرق تجارة الصحراء، وبذلك احتكروا تجارة الصادر والوارد مع السودان الغربي.

وكان احتكار تجارة الصادرات والواردات مع السودان الغربي هو سبب تحالف الإباضية وأهل السنة ضد الفاطميين من أجل تجارة الصحراء. وهنا شهد المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تجربة مريرة قبل أن يحقق سيطرته النهائي على المستوى الشعبي والسلطة الحاكمة، فبعد محنة الإمام سحنون بن سعيد (160-240هـ / 766. 854 م) مع الأغالبة وفقهائهم الأحناف خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي المحنة الخاصة بخلق القرآن دخل فقهاء المذهب المالكي بإفريقية خلال القرن ا التالي في صراع حاد وعنيف مع الدولة الفاطمية الشيعية.[1]

ومع رحيل الفاطميين إلى مصر، ظلت الصلات التجارية مستمرة بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي خلال القرن 4الهجري / 10 الميلادي، كما تدل أيضاً على علو شأن تجار المالكية وعودة نشاط تجارتهم كسالف عهدهم من حيث القوة والانتشار، وهنا تظهر مدى إسهام تجار المالكية في التجارة عبر الصحراء.

من ارتباط سجلماسة وغانة بالنشاط التجاري بينهما وكان للتجار المسلمين المغاربة التأثير في انتشار الاسلام وهذا من خلال استقرارهم لمدة طويلة في بلاد السودان ومصاهرتهم ويشهد القرن 5 الهجري / 11 الميلادي تطورات أسهمت في ارتفاع شأن المذهب المالكي في إفريقية والمغرب، كان أولها وصول المعز بن بأديس إلى الحكم سنة (406- 454هـ / 1016 -1062 م) وهو أمير إفريقية، فالمعز هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ما سواه.[2].

وإذا كانت المصادر تختلف حول التاريخ الذي أزال فيه الدعوة الشيعية من إفريقية وإعادة المذهب السني المالكي إلى سابق عهده فأن بعضها يرجع الأمر إلى بداية حكمه لإفريقية، والبعض الآخر

[1]- عبد الرحمن السعدي، المرجع السابق ص 14

[2]- سحر محمد عنتر، المرجع نفسه ص 78.

يرجع تاريخ هذا الأمر إلي عام (435 هـ / 1044 م) وعندما قطع الدعوة للفاطميين وأظهر ولاءه للعباسيين.[1]

-أما العامل الثاني لارتفاع شأن المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو قيام دولة المرابطين التي قامت بدعوة الحق، وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك ونجحوا في توحيد المغرب الأقصى ومد نفوذهم إلى بلاد الأندلس واستقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق وقد شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد هؤلاء المرابطين، حيث نشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوافر عوامل عديدة منها سيطرة المرابطين على مساحات واسعة من الصحراء. وازدهار حركة التبادل التجاري مع بلاد السودان وكان لسيطرة المرابطين على تلك المساحات أكبر الأثر في إحكام السيطرة على الطرق التجارية المهمة، وخاصة الطريق الذي يصل ما بين سجلماسة في الشمال إلى أودغست وبلاد السودان في الجنوب مما ساعد على تأمين هذه الطرق، وبالتالي، وازدهرت معها المدن التجارية لكل من السودان الغربي ويلاد المغرب، وما بينها من محطات متناثرة على الطرق التجارية في قلب الصحراء.

وهكذا قامت دولة المرابطين على المذهب المالكي السني وقامت بالقضاء على بقايا المذاهب المخالفة للسنة وخاصة المذهب الأباضي، وعملوا علي تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي وإتباعهم له وإلزامهم بفقه صاحبه.[2]

كان للمرابطين دور كبير في تصحيح المفاهيم الإسلامية لدى المسلمين في دولتهم، فقد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي وتخليص هؤلاء مما ساد بينهم من البدع والخرافات والعادات والتقاليد والرواسب الوثنية، بعد أن فشلت الفرق الإسلامية المتطاحنة من خوارج وشيعة وغيرهما في الوصول إلى ذلك الهدف، كما قاموا بدعم الدعوة الإسلامية وتعميق هذا الدين بصفة عامة في المنطقة، والمذهب المالكي بصفه خاصة في نفوس العامة بالمغرب ونشره بين صفوف فئات واسعة من سكان السودان الغربي.

[1] سحرمحمد عنتر، المرجع نفسه، ص 78.

[2]- محمد أبو محمد إمام، المرجع السابق، ص94

وقد أسهمت هذه الجهود في تشبث أهل المغرب بالمذهب المالكي بإتباعهم له والتزامهم فقه صاحبه، منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه، وهذا الأمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى برهان عليه.[1]

[1] محمد ابو محمد امام ،المرجع السابق ،ص 94.

الفصل الثالث

فقهاء المالكية والحياة العلمية وأدوارهم السياسية

المبحث الأول: الإسهامات العلمية وأدوارهم التعليمية.

1- الرحلة

2- الإجازة

3- التعليم

4- التأليف

المبحث الثاني: علاقة الفقهاء بالسلطة وتأثيرهم السياسي.

1- بالفتاوى

2- عسكريا

المبحث الأول: الإسهامات العلمية وأدوارهم التعليمية.

أولا: الدور الديني.

– الرحلة:

ومن الوسائل التي استطاع بها علماء السودان الغربي أن يساهموا في خدمة المذهب المالكي الرحلات العلمية بين السودان الغربي والدول المغاربية، حيث إن كثيرا من علماء المغرب العربي زاروا السودان الغربي ودرَسوا الفقه المالكي فيها، الأمر الذي أسهم في نشر المذهب وخدمته وترسيخه في المنطقة.

وقد كانت الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب تعتبر الصلات الثقافية بين المغرب والسودان من أقدم الصلات بين هذه المنطقتين، فبلاد المغرب تعتبر همزة وصل بين مختلف البلدان، كالمشرق والأندلس، لأن جل الرحلات كانت تمر من المغرب من أجل الوصول إلى المناطق الأخرى. والصلات المغربية كانت في المرتبة الأولى حيث أن المدارس تكون مغربية، فالدارس هناك يحس وكأنه درس في فاس أو مراكش أو القيروان أو تلمسان، ذلك لأن تلك المؤسسات التعليمية كانت تنتهج أسلوب التعليم المغربي، وهذ أمر منطقي مادام الإسلام والثقافة الإسلامية قد دخل إلى بلاد السودان الغربي عبر بلاد المغرب، لهذا وصفت الثقافة في تلك البلاد بأنها ثقافة مغربية على أرض سودانية[1].

حيث أن هذا التأثير ساهم في خلق جيل من كبار العلماء السودانيين الذين كانت لهم شهرة ومقدرة علمية حيث رحل عدد من أبناء السودان الغربي للدراسة في المغرب، ومن أبرز هؤلاء نجد كاتب منسا موسى وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان، كذلك نجد الفقيه عبد الرحمن التميمي المكي الذي جاء إلى السودان مع منسا موسى[2] أثناء عودته من رحلة حجه من أجل التدريس في تنبكت لكن لم يمكث بها طويلا. كما رحل عدد كبير من فقهاء المغرب

[1]– مطير سعد غيث احمد، مرجع نفسه، ص: 118

[2]– منسى موسى: هو السلطان موسى بن أبي بكر التكروري حاكم دولة مالي الإسلامية للفترة (712 – 738 هـ / 1312 – 1337 م) و هو صاحب رحلة الحج الشهيرة. ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، 295.

إلى بلاد السودان الغربي، فقد شاهد ابن بطوطة خلال زيارته لتلك البلاد عدد من الفقهاء المالكية المغاربة في بلاد السودان الغربي، والتقى في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا [1]، الفقيه ابن بداء، ولقد تعمقت الصلات بين البلدين خصوصا في زمن دولة صنغاي مع مجيء الإمام محمد عبد الكريم المغيلي، الذي ارتحل إلى بلاد السودان ودخل إلى بلدة تكدا ووصل إلى مدينة جاو، واجتمع بسلطانها أسكيا محمد الكبير وعمل كمستشار سياسي وفقيه لديه.

واستمر تدفق علماء المغرب إلى دولة مالي الإسلامية بفضل تشجيع سلاطينها، وبخاصة منسا موسى الذي أرسل بطلب الفقهاء من المغرب والمشرق والأندلس، وعمل على استقدامهم إلى بلاده، ويشهد على ذلك استقدامه للفقيه عبد الله البلبالي[2] من مدينة فاس، وقد ولاه إمامة مسجد الجامع بتنبكت، كما عاصره الفقيه أبو العباس الدكالي الذي كان قاضيا في دولة مالي[3]. كما وجدت الكثير من العائلات التي سكنت بلاد السودان الغربي، نذكر منها عائلة القلالي ويأتي على رأسها الإمام الفقيه محمد بن بكر بن أكداد الفلالي المتوفي سنة 989 هـ/1529م، الذي ولي الإمامة في الجامع الكبير في تنبكت وحتى وجاو، وهناك عائلات أخرى منها عائلة الهواري في جنى وعائلة الدليمي من مراكش[4] وقد بذل هؤلاء من العلماء جهدا في إثراء ثقافة السودانيين خوضهم هذه الرحلات الشاقة إلى هذه الأوطان البعيدة، وبذلوا الكثير وسحل لهم التاريخ ذلك الصلات العلمية مع مصر.

– الرحلات العلمية مع مصر: لقد كانت الاتصالات الثقافية بين هذين البلدين قوية، حيث أصبحت مصر موطن الفكر الإسلامي في الشرق، حيث أنها تقع على طريق الحج ووجود الأزهر الشريف بها والذي يعتبر مركزا للدراسة شتى أنواع العلوم.

[1]– سلا: مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلنطي، منها إلى مدينة مراكش، ولها نمر كبير في غرب هذا المحيط. ينظر: ياقوت الحموي، المرجع نفسه، ص، 231

[2] – الله البلبالي. هو جد السعدي وأول البيضان صل بالناس في المسجد، ثم توجه الة تمبكتو بصحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسى موسى، ثم رجع الى فاس وخلفه في الإمامة، ينظر البرتلي أبو عبد الله ،فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرورو، تح ،محمد إبراهيم الكناتيو محمد حجي، بيروت، دار الغرب الأندلسي ،ط1 ،1981،ص 150.

[3]– التنبكتي أحمد بابا، مرجع نفسه، ص: 577.

[4]– المرجع نفسه، 122

وترجع هذه الصلات العلمية والثقافية مع مصر إلى زمن مملكة مالي، فقد توافد في عهدا طلاب العلم من السودان الغربي إلى مصر ليتزودوا بالعلم والمعرفة على يد مجموعة كبيرة من علمائها الذين ذاع صيتهم في الفقه المالكي، ومع تكاثر هؤلاء الطلاب الذين يأتون من بلاد السودان، فقد أسس لهم رواق في الأزهر عرف برواق التكارنة[1]، ومن بين هؤلاء الطلاب الوافدين على مصر فاتح بن عثمان التكروري المتوفي695هـ، والذي قدم من مراكش إلى مصر، أخذ الفقه على أيدي علمائها. كذلك نجد الشيخ محمد بن عثمان بن عبد الله سليمان الحراز العز التكروري المتوفي عام 857 هـ/1453م، الذي تعلم في مصر أثناء رحلته إلى الحج، والتي تعتبر من أعظم الرحلات، حيث لها الدور الكبير والأثر العظيم في الاتصال الثقافي والعلمي بين البلدين، بعد أن قام بشراء الكثير من الفقه المالكي من أجل توفرها لأهل مملكته والاستفادة منها [2].

وإذا كانت الصلات العلمية والثقافية بين البلدين ترجع إلى زمن دولة مالي، فقد تعمقت أيضا في زمن دولة صنغاي، فتجد في مقدمتها الاتصالات مع الإمام عبد الرحمن السيوطي 849-911م/1445-1505م الذي ذاع صيته العلمي بالرغم من عدم زيارته للسودان العربي حيث أن كتبه هي التي حصلت ونقلت إلى السودان الغربي[3]. كما أنه التقى بالأسكيا محمد الكبير أثناء وجوده بالقاهرة أثناء قيامه برحلة الحج، فحل الأسقيا محمد إليه مستفتيا ومتعلما في مجلسه، مما كان له الأثر الكبير في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال تلك الفتاوى التي وجهها إليه الأسكيا محمد الكبير، كما أن هناك رسالة من الإمام السيوطي تدل على عمق هذه الصلات، كذلك تدل أيضا على مدى حرصه على إقامة العدل وإتباع القواعد الإسلامية الصحيحة عند حكام وأمراء وسلاطين السودان الغربي، سماها "رسالة إلى الملك التكروري"[4]، وتدل هذه الرسالة أيها على مدى الصداقة التي كانت موجودة بين الإمام السيوطي والحكام والأمراء، فكانوا يعملون بمشورته وإرشاداته

[1]- عبد القادر زيادية، المرجع السابق ص 146

[2]- سحر عنتر محمد مرجان، المرجع السابق ص 226- 227

[3]- سحر عنتر محمد مرجان، المرجع نفسه،ص 267.

[4]سحر عنتر، المرجع السابق، ،ص 267

كذلك نجد مدى هذه الرحلات بين السيوطي وفقهاء السودان الغربي أنه ترددت أراء السيوطي الفقهية في العديد من مؤلفات وكتب علماء السودان الغربي [1].

كذلك كانت هناك رسالة أخرى من الفقيه التنبكي عام 1014هـ / 1606م موجهة إلى علماء مصر وعنوانها: "مسائل إلى علماء مصر"، يسألهم فيها عن أمور استوقفته بلغت واحدا وعشرين مسألة من تدور حول مسائل فقهية وتصوف ونحو وأصول، طلب فيها رأيهم فيها ذلك بأدلة والسنة[2]. كما التقى القاضي محمود كعت ورفاق رحلته في الحج والتي كانت مصاحبة للأسكيا محمد الكبير بعلماء مصر، وجلسوا متعلمين في حلقات الأزهر العلمية على يد علمائها وخاصة على يد الإمام الكتاب السيوطي[3]

– الرحلات العلمية مع بلاد الحجاز:

كان لرحلات الحج التي قام بها الكثير من أهل السودان الغربي إلى بلاد الحجاز دور هام في دعم الاتصالات العلمية والثقافية بين البلدين، لم يكتف هؤلاء الحجيج بتأدية الشعائر الدينية فقط، بل كانوا يقومون بزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتمكنون هناك، وخير دليل على ذلك الفقيه محمد بن عبد الله التكروري الذي كان خطيبا في بلاده ومحاور المدينة المنورة وظل ها حتى وفاته حيث توفي ودفن هناك عام 742هـ/1341م، وقد حرص بعض أبناء السودان العربي على الجلوس في حلقات العلم ومجالسه، والحصول على الإجازات العلمية من علماء بلاد الحجاز، ومن هذه الإجازات الإجازة تلك التي حصل عليها إبراهيم بن عبد الرحمن الكروري وكانت عام 988هـ/1580م، منحت له من طرف الإمام النهروالي[4]

[1]– مطير سيد غيث، المرجع السابق ص 143

[2]– مطير سيد غيث ،المرجع نفسه، ص 145

[3]– محمود كعت، المرجع السابق ص 273

[4]– سحر عنتر، مرجع السابق ص 266-267

كما كانت للفقيه محمود بن عمر أقيت رحلة إلى الحج سنة 915م/1509م، وكذلك الفقيه العاقب الأنصمني[1] الذي وصل إلى الأراضي المقدسة لغرض الحج، والذي تمكن من خلال هذه الرحلة الاستفادة علميا وذلك من خلال مخالطته ومجالسته للعلماء والفقهاء[2]، وكذلك أبو بكر بن عمر أقيت، الذي سار في رحلة الحج ثم عاد إلى تنبكت ثم قرر نقل عائلته والرحيل نهائيا إلى الأراضي المقدسة، فلقد أفاد الكثير من علمه وأكمل بقية حياته في المدينة المنورة ودفن في بقيعها سنة 991م/1583م [3]

كما حصل الفقيه أحمد بابا التنبكتي على الإجازة من إمام المالكية الإمام يحي بن محمد بن محمد الخطاب 902-995هـ/1496-1578م، وكانت هذه الإجازة عن طريق المراسلة، مما يدل على عمق الصلات العلمية بين علماء السودان الغربي وعلماء الحجاز، مخالطة العلماء والاستفادة منهم ومنحهم الإجازات العلمية[4]، ومعظم الرحلات إلى بلاد الحجاز كان معظمها من أجل أداء فريضة الحج كان موضع تتلاق فيه مختلف الأجناس لذلك أبناء السودان الغربي كانوا يلتقون العلماء والفقهاء ويأخذون منهم مختلف العلوم والعلم.

وهكذا نرى بأن المذهب المالكي وفقهائه يعدون من أهم ركائز مجتمع السودان الغربي، لذلك اكتسب فقهاء المالكية مكانة عظيمة داخل هذه البلاد، حيث كان لهم دور حيويا في مختلف الجوانب السياسية والإجتماعية والثقافية والدينية، كما أن ازدهرت الحركة العلمية في السودان الغربي، وهذا راجع لتشجيع الحكام والملوك للعلم والعلماء، فنشطت حركة التأليف فعلماء السودان الغربي حرروا وكتبوا كتب ومصادر في مختلف العلوم، كما كانت للمكتبات الخاصة دور هام في تطور الحركة العلمية والثقافية.

---

[1]- العاقب بن عبد الأنصمني: ينتمي العاقب بن عبد الله إلى قبائل مسوفة الصنهاجية، و لقب الأنصمني نسبة إلى بلدة الأنصمن، التي سكنها و هي قرية من بلدة تكدا، و لم يعرف تاريخ ولادته و لا وفاته إلا أنه كان حيا سنة 950هـ – 1543م، تلقى تعليمه الأول في قرية تيكدا، رحل إلى المشرق لتأدية فريضة الحج، و في طريقه بمصر التقى بالإمام السيوطي، ينظر سعدي، المصدر السابق، ص 41

[2]- سحر عنتر احمد، مرجع نفسه ص 281.

[3]- مطير سعد غيث، مرجع نفسه ص 170

[4]- سحر عنتر احمد، مرجع نفسه ص274

وأخيرا كان للصلات العلمية والروابط الثقافية بين فقهاء المالكية في السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز، دور فعال في تقوية الروابط الثقافية بين البلدين، حيث كان التأثير المغربي على التعليم ومناهجه وأساليبه قويا، أما مع مصر والحجاز كان لهما الأثر في رفع شأن الفقهاء والعلماء.

2- الإجازة:

استفادت الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من تشجيع الولاة والسلاطين علي تحصيل العلم منذ أن أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة في عهد دولة مالي، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وصنغاي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها، حيث لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط، بل كانت أماكن لتلقين العلم والمعرفة.

وقد شهدت دولة مالي الإسلامية وبخاصة في عهد منسى موسي نشاطا علميا، وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية واللغة العربية لاسيما بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام 126هـ/1325م، واصطحابه عدداً من علماء المشرق العربي والمغرب إلى دولته، كما قام بشراء الكثير من أمهات الكتب أهمها كتب الفقه المالكي التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في السودان الغربي كله، وقد بني في تنبكتو الجامع الكبير سنة 72هـ/1324م[1]، ووسع مسجد سنكري، الذي غدا جامعة إسلامية عريقة كما قام منسى سليمان في دولة مالي الإسلامية بجهود لدعم الحركة العلمية فبني المساجد والجوامع ورمم المتصدع منها وصانها واستقدم كثيرا من العلماء والفقهاء.[2]

وقد بدأ الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه مختار (981-1014 /1573. 1605م) حياته العلمية في تنبكت، حيث تتلمذ على أيدي أعلام أفذاذ لهم دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية بتنبكت أمثال محمد محمود يغيغ الونكري الذي لازمه وأخذ عنه علوم النحو والفقه وعلم الكلام حتى أتقنها وأجازه فيها إجازة علمية تنم عن ثقته به وتضلعه فيها أخذ

[1] محمود كعت، مصدر سابق، ص33،.أنظر السعدي، مصدر سابق ،ص 6,7. أنظر أبو بكر إسماعيل ميقا.تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ،مجلة الدارة، العدد الثاني 1414هـ، الرياض ،ص 227,228.

[2]- عبد الرحمان لسعدي، **تاريخ السودان**، كلية الادب العربي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، جامعة نواكشط موريتانيا،1665-1596

عنه من علوم[1]، وهناك أيضا عبد الرحمن الفقيه محمود، وأحمد بغيا، ومحمد بن محمد كري، وسيدي بن عبد المولى الجلالي وغيرهم من أعلام تنبكت الذين أخذ عنهم محمد بابا علوما مختلفة في مجالات متعددة، وقد أجازه معظم هؤلاء العلماء، هذا وقد بلغ محمد بابا درجة[2] عالية من التمكن في العلوم وبخاصة اللغوية التي برز فيها، بمؤسسات تنبكت العلمية، وأصبحت له شهرة كبيرة في هذا المجال أما أحمد بابا التنبكتي (1036 هـ / 1626 م) فقد تعددت مصادر تكوينه العلمي والثقافي، إذ أخذ تعليمه الأول على يد والده الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (929-991 / 1522-1583) الذي قال عنه: وحضرت أنا عليه أشياء عدة، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه، كتب لي بخطه، وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ، والشفاء[3]، ثم استكمل تعليمه على يد، عمه الفقيه أبي بكر سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر الذي تم تكوينه العلمي على يد جده لامه محمود بن عمر أقيت فقد أخذ عنه الرسالة ومختصر خليل"، ثم أكمل أحمد بابا تكوينه العلمي على يد أستاذه الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر المعروف بغيغ[4].

وكذلك أتاحت لهؤلاء العلماء الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافداً أخر لزيادة تكوينهم العلمي والثقافي، ففي هذه الرحلات كانت تتاح لهم فرصة مقابلة فقهاء المذهب المالكي وكذلك حضور دروسهم وكانوا يمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم ساعد على ذلك طول مدة الرحلة.[5]

أقيت المتوفى عام (991 هـ/1584م) الذي أجازه بعض فقهاء المالكية أثناء إقامته في مصر في رحلة حجه، وقد لقي جماعة منهم ناصر اللقاني المتوفى عام (958هـ/1558م) والشريف يوسف الارميوني تلميذ السيوطي، وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري والاجهوري وأجازه بعضهم في مكة المكرمة منهم الإمام العالم أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المصري مولدا المكي منزلا

[1]- الولاتي، المرجع السابق ص 175

[2]- السعدي، ا لمصدر السابق ص 54

[3]-احمد بابا، ا المصدر السابق، ص142

[4] -بغيغ.وهي من الأسر السودانية التي كانت تقطن بجنى ثم انتقات الى تبمبكتو فاشتهرت وانبثق منها علماء وقضاة كبار من بينهم الشيخ محمود بغيغ بن أبي بكر الونكري.

[5]- أحمد بابا ،ا المصدر السابق، ص، 602.

عام (956 هـ/1549م). كذلك التقى أحمد بن أحمد أقيت أثناء قيامه برحلة الحج بالعالم بركات الحطاب وعبد المعطى السخاوى وعبد السلام الأسمر الزليطني المتوفى عام (990 هـ/ 1582 م) وإجازة بعضهم [1].

ثانيا: الدور العلمي.

1- التعليم:

ان التعليم هو الأساس لكل تقدم وتطور ثقافي وعلمي فهو السبيل والوسيلة الأساسية لتوجيه الفكري والتربوي، به يتم توطيد المبادئ والأفكار وصقلها وتهذيب سلوك الإنسان ومنه عمل الفقهاء على تطوير وتوسيع وازدهار الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي، ونرى هذا الجهد بشكل جلي من خلال ما يلي: [2]

أ- الجلسات العلمية:

اهتم فقهاء المالكية في هذه الجلسات بتعليم المهتمين بطلب العلم من العلماء والمعلمين والخطباء والأئمة الذين لهم في المسائل والقضايا الفقهية، ويشتغلون بالتوعية الدينية بين أفراد المجتمع ومن المناهج التي اتبعوها.

ب- الإستماع أو الإلقاء: وهذا عندما يكون العالم أو الفقيه في مكان أو دور علم أو جلسات علمية وغالبا ما يكون في المسجد مع الطلاب ويلقى على مسامعهم الدروس ويدونون ما سمعوا وما يهمهم. كان الفقيه الحاج أحمد اقيت [3]الذي كان من الذين يداومون على تلقين وتدريس مدونة الإمام أحمد سحنون، وكانت هذه الطريقة أكثر إتباعا في ذلك العصر ومن خلالها تم تداول العلوم بين فقهاء المالكية.

[1]- ا المصدر نفسه، ص ،141-142.

[2]- عبد الرحمن عثمان حجازي، **المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي**، بيروت، المكتبة العصرية، ط 2، 1995، ص210.

[3] السعدي، تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص27,47,48.

ج- قراءة الكتب: شجع فقهاء المالكية أهل السودان على نسخ الكتب وإيصالها أثناء الرحلات الى مختلف الأقطار الإسلامية ثم تقديمها واستبيانها بعد العودة.

ومن الكتب التي تم تداولها هي موطأ الإمام مالك ومدونة الإمام أحمد سحنون، أيضا إشتهر بعض منهم بالتأليف وجمع الكتب وقراءتها على الطلبة من بينهم أحمد بابا السكني الذي ساهم في إثراء المكتبة بالعديد من الكتب والرسائل العلمية وهذا دليل على تحصيله العلمي ومعرفته بكتب التراجم والفقه والتاريخ ومن بين هذه الكتب كتاب نيل الابتهاج بتطريز...[1]

د الحفظ: لقد كان لهذه الطريقة اهتمام كبير من طرف الفقهاء والعلماء فجعلوا هذا الأسلوب في مراحل الإبتدائية أو الإعدادية لترسيخ الأسس المهمة لتعليم في هذا العمر والمرحلة الأولية وكان من أشهر الحفاظ هو: الإمام محمد المنفوري الذي كان يمتاز بقوة وسرعة الحفظ لكثير من الكتب التي لها في دار الإفتاء للمذهب المالكي.[2].

د المناظرة: وكانت من أشهر الأساليب والطرق التعليمية في العصر الوسيط وكانت تعرف باسم المذاكرة والنقاش وهي من أركز أساليب التدريس والتلقين والولوج بين مختلف الأراء وارجحها، وكان فقهاء المالكية من أكثر من يناظروا في مختلف الجلسات العلمية ولكل حسب اختصاصه وكانوا من الذين يجادلون ويناقشون كل الفرق المخالفة للمذهب السني، وكانت لهم القدرة على ذلك ومن بين المناظرات التي حدثت: بين الإمام المغيلي والقاضي محمود بن عمر اقيت (**955هـ/1547م**) [3].

[1] السعدي. المصدر السابق ،ص ،251.

[2]- محمد بلو بن عثان فودي، **إنفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور**، ترجمة: عبدة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط 1، 1996 م ص52.

[3]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان، مرجع نفسه، ص244.

2-التأليف:

- الموطأ للإمام: يعتبر الموطأ من الكتب الأولى في الحديث الذي تم تناقله بين الأجيال منذ ظهوره إلى اليوم... وقال عنه الدهلوي.... [1].

التهذيب للبرادعي: ولقد صنف سنة 372 هـ/ 983م وهو عبارة عن تهذيب للمدونة على يد أبي سعد خلف بن القاسم البرادعي ولقد كان مقررا في الدراسات الفقهية لمدة اربعة قرون قبل أن يتم الإعلان عن مختصر ابن الحاجب..[2]

- الرسالة لابن أبي يزيد

وهي تعتبر من الكتب أو المختصرات التي كان لها حظ كبيرا من الإهتمام من طرف علماء السودان الغربي في الحلقات العلمية، رسالة ابن أبي زيد القيروان إمام المالكية في عصره الذي توفى سنة 386 هـ، وهو يعتبر من أبرز الفقهاء آنذاك وكان جامع مذهب مالك وشارح لأقواله وكان ما يميزه عن غيره انه احتفظ بكثير من النصوص المأخوذة من الأمهات في حكم الضياع مثل الواضحة والموازية والمجموعة. [3]

مختصر الخليل: كان مختصر الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى المعروف بالجندي، ضياء الدين أبي المودة، حامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر من أهم المختصرات التي اهتم بها العلماء في الغرب الإسلامي فوضعوا عليه شروحات وحواشي وتعليقات وتقارير تعد بالمئات ولأهميته في المذهب في القرون الأخيرة.[4]

- تاريخ الفتاش للقاضي محمود كعت الكرمني: مات صاحب الكتاب ولم يكمله بل أكمله حفيده ابن المختار، والكتاب يحمل عنوان " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"،

---

[1]- سعد غيث أحمد، مرجع نفسه، ص243.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص. 259

[3]- يراجع، حركة التجارة والإسلام، المرجع نفسه ص:78.

[4]- يراجع: ترتيب المدارك، الشيخ محمد المكي الناصري، **حركة التجارة والإسلام**، ندوة الإمام مالك عام 1400هـ/1980م، ص ص:674 – 676.

وهو بمثابة وثيقة هامة في تاريخ بلاد السودان الغربي، إذ يؤرخ للأحداث التي شهدها المؤرخ بنفسه [1]، بدأ كتابه بالحمدلة والبسملة، وخطبة اعتنى بحبكها وذلك مستدلا بالأحاديث والآيات القرآنية، فيعتبر وصفا دقيقا للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية البلاد السودان، إذ تكلم عن مملكة مالي وسلطانها منسا موسى الذي وصفه بأحسن الأوصاف وذكر رحلته الحجية التي اشتهر بها [2]

أما عن الجانب الثقافي فقد أعطى صورة عن الحياة الثقافية في مملكة صنغاي قبل الغزو المغربي وكيف ساءت بعدد، كذلك ذكر حياة الفقهاء وعدد الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة للصبيان وطريقة استعمال الألواح لعرض الكتابة، أما الجانب الاجتماعي فقد تكلم عن الأوصاف الناس وأصل القبائل في بلاد السودان العربي، كما تكلم عن الجوانب الاجتماعية الأخرى، وأشار إلى الخرافات الشائعة في تلك البلاد، اعتمد كعت في تأليفه على الرواية الشفوية والمشاهدة العينية، كما كان له مصادر أخرى اعتمد عليها، أما أسلوبه فهو خبري يسرد الأحداث والوقائع، فالكتاب لم يكن مقسما على فصول أو أبواب، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة في تاريخ السودان الغربي، نشر هذا الكتاب من قبل المستشرقان الفرنسيان هوداس ودولاقوس في باريس سنة 1914 م باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى اللغة العربية [3]

– تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي: بعد كتاب السعدي الذي عاصر دولة الأساكيا بصنغاي وتوفي بعد سنة 1067 هـ / 1655 م، بعد من أوثق مصادر تاريخ بلاد السودان العرب، فقد سلط الضوء على تاريخ السودان مع الذكر للثقافة الإسلامية بها، كما ذكر الحوادث السياسية لكل من دولة مالي إلى حكم مني على في دولة صنغاي، ورتب السعدي كتابه في ثمانية وثلاثين بابا، وغلب على أسلوبه الأسلوب الوصفي في سرده للأحداث، حيث كتب كل ما عاينه من أحداث سواء كإمام بمسجد سنكري أو وظيفته ككاتب في إلى جانب أسفاره ورحلاته بين الأقاليم البلاد، وأما عن مصادر كتابه فعلى رأسها المصادر الشفوية التي كانت له خير زاد وذلك باحتكاكه للعلماء والقضاة، ومن المصادر المكتوبة تجد بأنه اعتمد على مؤلفات شيخه وأستاذه التنبكتي كنيل الابتهاج

[1]– محمود كعت، المصدر السابق، ص،16.

[2]– السعدي، المصدر السابق ،ص ،43.

[3]– السعدي. تاريخ السودان، المصدر السابق ،ص44.

بتطريز الدباج، والكتاب يدخل ضمن كتب التاريخ العام الذي أرخ لبلاد السودان حيث شمل التاريخ والتراجم والسير والطبقات والرحلات [1].

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكني: يعتبر الكتاب من أهم ما كتب في علم التراجم ببلاد السودان الغربي فقد ترجم فيه لشخصيات وأعلام من داخل وخارج البلاد، ونهج في تراجمه ما كتبه ابن فرحون في ديباجته والقاضي عياض في مداركه، أرخ فيه لعلماء المالكية السودانيين وأفرد سيرهم وصفاتهم وخصائصهما، واحتوى على ثمان غالة وثلاثين رحلا مترجما له، ولم يقتصر على أعلام بلاد السودان فقط بل ترجمة لأعلام من المغارب الثلاث، من خلال تراجيه لرحلاتهم العلمية ومكانتهم الاجتماعية، واعتمد في تأليفه على عدة مصادر منها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب السلماني، وتاريخ ابن خلدون، ورجبة ابن فلقد القسنطيني، وفهرسة ابن غازي المكناسي وغيرهم من المصادر الأخرى.[2]

– كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج للتمبكتي وهو أيضا لأحمد بابا السكني كتبه كتكملة أو ذيل الكتابه نيل الابتهاج، واقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المشهورين بتأليفهم دون غيرهم، وتضمن ترجمه سبعة مئة من علماء المشرق والمغرب والأندلس وبلاد السودان من فقهاء المالكية، وإمتاز هذا الكتاب بترجمة شخصية التحالف وفهرس مخاص به مع المكتبات العلمية لفقهاء المالكية في السودان الغربي.[3]

المبحث الثاني: علاقة الفقهاء بالسلطة وتأثيرهم السياسي:

أولا: علاقة الفقهاء بالسلطة.

1– تنوع هذه العلاقة:

كان لفقهاء المالكية في السودان الغربي تأثير كبير في الحياة السياسية، وذلك عن طريق إدخال نظم جديدة عليها وفق التعاليم الإسلامية، إضافة إلى تقلدهم مناصب الحكم والتي استطاعوا من

[1]– السعدي، المصدر نفسه، ص210.

[2]– مقادم عبد الحميد، المرجع نفسه ص157.

[3] عبد الرحمان السعدي ،المصدر السابق، ص44,45.

خلالها القيام بالإصلاحات وتغيير موقف الحكام، والدليل على ذلك نظام الحكم الذي كان استبدادي لكن مع الإصلاحات التي قام بها الفقهاء تغير موقف الحكام [1].

وبرزت عائلات علمية كان لها اهتمام بالحياة السياسية نذكر منها عائلة أقيت في مملكة صنغاي، التي أصبح لها نفوذ كبير، فكانت لها مواقف تبرهن على تأثيرها في السلطة، ونجد أن الحكام خضعوا لعلمائها واستجابوا من أجل دعم مشروعهم السياسي والديني، وقلدوهم مناصب رفيعة، وخاصة في عهد أسكيا الحاج محمد الذي كان يقدر العلماء ويحسن إليهم، ويأخذ برأيهم، ومن أمثلة ذلك عندما طلب الإمام لمغيلي من الأسكيا محمد القبض على أفراد الجالية اليهودية في دولة صنغاي، لتورط اليهود في مقتل ابنه في توات أثناء غيابه في رحلته إلى السودان الغربي، وكاد الأسكيا أن يلبي طلبه لولا استشارته للقاضي محمود بن عمر أقيت، الذي تدخل واحتج على ذلك، وأمر الأسكيا محمد بإطلاق سراح الجالية اليهودية، مما كان سبب غضب المغيلي ومغادرته غاو إلى توات [2].

وكان الأسكيا يستشيرهم في مسائل السلم والحرب، كما كانا رسله في معظم الأحوال، وبخاصة العلماء وصارت هذه السياسة قاعدة لمن أتى بعدد من الأساكي في تقدير العلماء واحترامهم والنزول عند أراءهم، كما كان لعلماء أقيت دير في الحفاظ على الدولة من الاضطرابات والشحونات الداخلية خاصة في الفترة الزمنية التي تم فيها عزل أسكيا محمد واعتلاء إبنه موسى الحكم سنة (935 هـ/ 1528 م) [3]، فقد أوقفوا الأسكيا الجديد على معاقبة إخوانه ومعارضيه لتجنب المشاكل، وسعي الفقيه محمود بن عمر اقيت للصلح بينه وبين إخوته وطلب منه العفو على إخوته وان يبتعد عن الفتنة بينه وبينهم إتباعا لشريعة وتجنب القطيعة والفساد في الأرض.

وإضافة لاهتمام العلماء وعنايتهم بالنظام الإداري والقضائي، فقد كانت الإدارة مع مجيء الإسلام والمذهب المالكي لبلاد السودان منظمة تنظيما محكما، وكانت تسير شؤونها على أحسن الأحوال، وهذا دليل على الأثر الواضح للمذهب المالكي في الإدارة، أما بالنسبة للقضاء فقد كان دقيقا،

[1]- إبراهيم علي طرخان، **امبراطورية غانة الاسلامية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، دط، 1970ص57

[2]- علي يعقوب، "**العائلات العلمية في السودان الغربي دراسة وصفية: عائلة أقيت نموذجا**". مجلة قراءات إفريقية، ع: 44، السنة 16، أفريل 2020، ص، 14

[3]- سحر عنتر محمد مرجان، مرجع نفسه، ص 151

لذلك عمل الحكام على توليه القضاء للفقهاء المشهود لهم بالقدم المشهود لهم بالقدم والتمكن في العلم والفقه في الأحكام مع التقوى والتزكية وذلك لإصلاح حال الرعية[1]، وقد كان يتم تنصيب القضاة وفق مراسيم معينة في المسجد بعد أحد الصلوات الخمس، وذلك بحضور السلطان ووفد من الحضور حيث يتقدم الفقيه الذي سيتم تعيينه قاضي ويتم تحليفه بالله أو بأحد أسمائه الحسنى أمام الحاكم أنه سيلتزم في أحكامه بما جاء في كتابه وسنة نبيه محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم.[2]

ومن أشهر الفقهاء الدين عينوا في مجال القضاء تذكر القاضي محمد الكابري كان عالما فقيها، وليا صالحا[3].

حيث وجدت عائلات توارثت منصب القضاء نظرا لعفو كعب أبناءها في العلم والفتوى، ومن بين هذه البيوت العلمية عائلة أقيت الشبكية التي توارث علمائها، منصب القضاء مدة طويلة ولم يتحول عنهم لغاية سنة 1002هـ/1593م. إلى ظهور الحملة السعدية على يد القائد محمود بن زرقون إثر العزم السعدي لتمبكت[4]، وإلقاء التهم على الأساكي على هذا المنصب، لذا تجد الأسكيا محمد هو أول من قام بذلك فقد قام بإصلاحات فيه بعد عودته من الحج سنة 902هـ/1496م، إذ نصب في كل من مدينتي جني وتنبكت وفي كل مدينة تستحق القضاء قاضيا، ويتمتع قاضي قضاة تنبكت بمكانة عالية نظرا لمكانة المدينة الثقافية والتجارية فكانت له مهمة تولية القضاة في بقية أقاليم المملكة، وكان للقضاة وكان للقضاة بالسودان الغربي صلاحيا ت متعددة كانت لهم فيها الحق وهذا جراء علو مراتبهم الدينية، ومن المكانة التي حصلوا عليها عند الحكام، وهذا خاصة في عهد الأساكيا في دولة صنغاي والتي عرفت باحترام لشخصية القاضي واعتبار أحكامه نافذة على الكل، الحاكم قبل المحكوم. وهو ما جعل بعض المؤرخين الى اللجوء لعقد مقارنة بين مركز الحاكم القاضي الديني والدنيوي، وقد سلموا ان السلطة للقاضي تفوق بعض الأحيان سلطة الحاكم، فكان الحكام لا

[1]- مهدي رزق الله احمد، المرجع نفسه، ص 190

[2]- ميقا أبو بكر إسماعيل، **الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في بلاد السودان**، مجلة الإمام محمد ابن مسعود، السعودية، دار المنظومة الإسلامية، ع11، د.ت. ص 278

[3]- ايهاب شعبان عبد اشافي، **القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاء وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1561م)** القاهرة، الإفريقية الدولية للنشر والطبع كالتوزيع، 2017، ص47

[4] Provençal, L. " un document inédite sur l' expédition salide au soudan ،in Arabica ،tom 11 ,fascicul 1janvier ,pp, 89,96

يبرمون أمرا إلا بمشورة القاضي والأخذ برأيه، مما انعكس ايجابا على الوضع الأمني فقد استتب الأمن والاستقرار في البلاد قليلة حكم بسبب اختيارهم قضاة من العلماء وخاصة من أسرة أقيت العلمية، لهذا كان للفقهاء، دور سياسي بارا في ظهور نظم جديدة في الحكم، إضافة إلى النظام الإداري إذ تقلد العلماء مختلف المناصب الإدارية كما تلقوا احترام وتقدير الحكام.

2- تطور العلاقة من خلال تغيرات في البلاد

عرفت بلاد السودان الغربي العديد من الأحداث والتطورات على المستوى السياسي، جعلت الأوضاع تتغير تدريجيا بداية من القرن الثالث عشر ميلادي، السابع الهجري وإلى غاية القرن السادس عشر ميلادي، العاشر الهجري حيث أثرت جملة الأحداث التي مرت بها على الواقع الاجتماعي والاقتصادي بشكل كبير.فقد انتقلت سلطة البلاد إلى العديد من الشعوب والسلالات انطلاقا من الماندينغو[1]

ثانيا: تأثير المذهب سياسيا:

1- تأثير المذهب عسكريا.

كانت سياسة القهر والظلم آنذاك التي اتبعها حكام المغرب في سياسة الرعية والتدخل في الشؤون اليومية، أثر كبير في ظهور قوى معادية لها، بما تحمل من وحدة الفكر أو السياسة أو القبلية ومنه اتخد أسلوب المواجهة طريقا لها لدفاع وازاحة الظلم بالحجة والبيان ومنه رفعت فقهاء المالكية لواء المواجهة ضد هذا التعسف وكانوا أشد على مخالفيها من قعقعة السيوف ومن ابرزهم:

كان لعائلة اقيت في مملكة صنغاي نفوذ كبير، وهذا بسبب ما تتسم به من علم وعلو مكانة فيه، فلها أثر كبير على السلطة ومواقف تبين ذلك. وفي ذلك نرى أن حكام صنغاي خاضعين لهذه العائلة ولعلماؤها واستجابوا لهم وهذا لأجل دعم مشروعهم السياسي والديني، ونصبوهم في في مناصب رفيعة، وهذا بالأخص في عهد أسكيا الحاج محمد الذي كان يهتم بالعلماء ويحسن لهم. ويتم استشارتهم والأخذ برأيهم ومن بين موافقهم عندما طلب الإمام المغيلي من الأسكيا محمد

[1]- ايهاب شعبان عبد اشافي، مرجع نفسه، ص48

القبض على أفراد الجالية اليهودية في دولة صنغاي، وهذا لتورطهم في قتل ابنه، لكن كان لتدخل القاضي محمود بن عمر اقيت قام بالأمر بإخلاء سبيلهم مما كان في سبب غضب المغيلي وخروجه من غاو الى توات[1]

وكان لفقهاء المالكية دور سياسي في دولة مالي وقد لقوا اهتمام كبير بمنزلة كبيرة لدى حكام مالي، وقد كان الفقيه أبو العباس الدكالي.[2]

الذي كان في زمن منسى موسى والذي كان يتولى خطة القضاء ولقد حضي بتقدير واحترام من أهل البلاط الملكي. وأيضا لقد كان للقاضي انفار قم علاقة خاصة مع منسى موسى وكان يكن له الإحترام. ويذكر لابن بطوطة ان منسى سليمان في مجلسه كان يتم حضور الخطيب والقاضي وهم من ضمن حاشيته المقربين. [3]

لقد ارتفع مقام علماء وفقهاء المالكية في عهد الأسكيا محمد وخاصة منهم فقهاء تنبكتو وكان يحمل لهم تقدير خاص لدرجة انه يتقاسم معهم الجلسات الخاصة من مشرب واكل في ديارهم. ويجتمعون في المساجد مع وفد وترحيب من الحضور وتهليل من العلماء. ويشير محمد كعت في تاريخ الفتاش ان الفقيه صالح جور مكانة عالية جدا عند الأسكيا محمد. [4].

وقد تم الإشارة أن هناك حدث آخر يبين دور الفقهاء وتحديهم لسلطة الحاكمة سياسيا ودورهم في النصح والإرشاد وهذا ما حدث بين الاسكيا محمد والقاضي محمود بن عمر قاضي تنبكت المتوفي في 955هـ، فقد رفض القاضي نتفيذ اوامر الاسكيا وبعض أوامره.[5]

---

[1]- ابو بكر عبد الله بن محمد مالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951 ص 223-225

[2]- المرجع نفسه ص226-227

[3]- ابو بكر عبد الله بن محمد مالكي، نفس المرجع ص 398

[4]- رونح شهيرة، **الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الاغالبة**، مذكره لاستكمال نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2017 ص129

[5]- عياض بن موسى، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1983، ص216

فقد كان لفقهاء والسلطة علاقة تدور حول علو صفة العالم ووظيفته، فتطفوا عن ماهو مادي وتجعل منه أكثر حرصا على النصح والإرشاد. [1].

2- تأثير المذهب بالفتاوى

كان الفقه المالكي يمثل المرجع الفكري والعلمي المؤطر لمختلف اتجاهات الحياة لأهل السودان الغربي، فقد لفت انتباه فقهاء المالكية بأثر الحركة الاجتماعية في تأسيس البنى التنظيمية لهذه الشعوب وتوجيهها، ولقد عملوا على تسليط الجهد على فهم واقع حياتهم العامة خلال الفتاوى والاستشارات العلمية والقضايا وحلقات الدروس، ولهذا لا يصدر أي قرار نظري ما إلا تم إسقاطه على صانعي الخيار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما يعارضه، وهذا من البديهي يكون محل نقاش وبحث وتقصي للحقائق.

ومنه كان المفتي يتأثر بالمحيط والواقع الذي يدور من حوله ويؤثر فيه وهذا بسبب طبيعة هذه المجتمعات التي تميل إلى الدين والتدين، يكيف ويتكيف مع النص الفقهي وخصائصه الاجتماعية دون الخروج عن النسق المالكي.[2]

وعند البحث في كتب التراث نجد فصول مخصصة لدراسة ونقد معظم الظواهر الاجتماعية الفاسدة المنتشرة في هذه المجتمعات، وهذا يظهر في أجوبة السيوطي عن الأسئلة الواردة من بلاد التكرور ومثلها أجوبة المغيلي[3] عن تساؤلات الاسكيا محمد[4] ملك صنغاي، كذلك المصنفات المانعة التي كتبت في هذا الغرض، مثل مؤلفات العالم التمبكتي احمد بابا في نقد ظاهرة استرقاق المسلمين

[1]- عياض بن موسى، مرجع سبق ذكره، عياض.2/ 606، 597 معالم الإيمان الدباغ – 2/ ص ص 85-86.

[2]- هارون ولد عمار، **التأثير والتأثر في الفتوى الفقهية الموريتانية، مقاربة وصفية لبعض المدونات الفقهية**، من أعمال ندوة: الفقهاء والصوفية في الغرب الإسلامي ودلالات التقريب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2010 م، ص: 151

[3] -الإمام المغيلي ،هو محمد بن عبد الكريم المغيلي بن عمر بن مخلوف ،أختلف في سن ولادته ،الراجح أنها (831هـ/1427م)، ينتمي الى قبيلة مغيلة نشا في أسرة علم ومعرفة، ارتحل الى عدة مناطق لطلب العلم منها فاس، أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق ،ص 576.

[4] الأسكيا محمد الكبير ،صعد للحكم وعمره 50سنة ،حكم صنغاي من 934/899هـ كان قائد في التنظيم السياسي ،ميالا للعلم والدين شهد حكمه انتعاشا علميا وإسلاميا ،ينظر محمود كعت المصدر السابق ،ص 91.

بأفريقيا، ظاهرة التخليط بين الإسلام والوثنية، والكثير من الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في هذه المجتمعات، خلال حركة الإصلاح والتصحيح.[1]

ان الفتاوى الفقهية الناتجة عن المذهب المالكي، كانت إحدى الركائز والقنوات التي خلالها مارس العلماء دورهم وتأثيرهم على هذه الشعوب، وكانت فتاويهم المرجع لتجليات الحياة في هذا المجتمع وصقله ونظم قيمة الذهنية وهذا بجلاء التفاعل للنصوص الشرعية مع الواقع الاجتماعي بقوانينه وسننه العرفية التي كانت تسود حياتهم.[2]

وجراء ذلك اكتسب فقهاء المالكية مكانة مرموقة، عالية في المجتمعات السودانية لا تقارن بمثلها، لقد كان للقضاة منهم موضع ثقة ومحل احترام وتقدير ومرجعا عند الحاجة وحلول لما اهمهم من أمر في مختلف المجالات الحياتية، وكانوا يقومون على رعاية المساكين وتولي أحوالهم والوقوف عليها منها حالات مدنية التي تخص المواثيق والعهود وتحرير العبيد من الرق والنظر في التركات والمواريث والوصايا وتوصيلها لذوي الحقوق وفق تعاليم شرعية إسلامية لتجنب الظلم الإجحاف في الحقوق، كذلك كانوا يقومون بأدوار أخرى ذات أهمية وكانوا دائما أهل للمساعدة وخدمة المحتاج والغرباء وعابري السبيل ولم يذخروا جهدا في إصلاح المفاسد والظلمات السياسية والاجتماعية والقضاء عليها بما أتوا من قوة الحجة والبرهان الشرعي. وهذا ساعد على تصدر الفقهاء في بلاد السودان والحوض منها نشوء طبقة الزوايا.[3]

وكان للفقه والفقهاء الدور الأعظم في توجيه الناس سياسيا واجتماعيا وحيث كان الناس يتداولون مقولة: «ولا يفعل فعال حتى يعلم حكم أهل فيه ويسأل العلماء ويقتدي بهم» [4]

[1]- المرجع نفسه، ص153.

[2]- المرجع نفسه، ص: 153

[3]- محمد يحي حبيب، الحركة الاصلاحية في بلاد شنقيط (موريتانيا) بين الاستجابة للاستعمار الفرنسي ودفاعه من خلال بعض الفتاوى والوثائق، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، جامعة إنديانا 2006 ص: 32.

[4]- المرجع نفسه، ص:201 - 202

وتم إتخاذ منهم قضاة ومستشارين ومصلحين بين القبائل والإمارات وكان بنو حسان يستفتون الزوايا من بركتهم وكانوا لهم الحرص على دفنهم في مقابرهم. ولقد كان لكل أمير قبيلة زاوية يعتمد عليها وشيخ يستند إليه حتى صار لهم منزلة تفوق منزلة الأمراء وكل أي رجل سياسي.

وكان حرص الفقهاء في هذه البلاد يحافظون على الطابع المالكي للفتوى والقضاء، خصوصا في المسائل التي أخذت إجتهادا داخل المذهب مثل قراءة البسملة في الفريضة التي اختلف فيها عند أهل الطرق والمذاهب الأخرى، يقول الشيخ أحمد بمبا البكي

وقد كان للفتوى تأثير كبيرا على المجتمع وهذا نظرا لقداسته عندهم وأيضا كان لهم استنادا موثقا ويتماشى مع ظروف الناس وهمومهم التي تشغل بالهم حاليا ومستقبلا وقد أسهمت عدة عوامل في أحداث هذا التأثير منها:[1]

أ- العامل الديني: وكان الإسلام الأساس في المذهب المالكي الذي تم ترسيخه من طرف المرابطين ويتصف بشدته وصرامته في تطبيق الشعائر الدينية، وكان الزهد نصيب كبيرا عندهم والتعلق بالكرامات والخوارق التي تمكنهم من أمور الدين وسد الذرائع.

ب- العامل العلمي: ويكمن في مضمون الفتاوى الفقهية أي دراسة كيف تم تطويع الفقيه للفقه المسائل الحياتية، وتكييف النصوص بما يتلاءم مع مقاصد الشريعة ومصالح العباد والبلاد، وهذا ما جعل وساعد على تلبية الحاجات اللازمة للمجتمع. وقد وضعت هذه الفتاوى والرسائل الفقهية أسس وآليات التعامل مع الفساد المنتشر في هذه الرقعة من الجهل وتسلط الحكام والظلم والقهر..[2]

[1]- هارون ولد عمار، المرجع السابق، ص: 154 - 161.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود **البابطين للإبداع الشعري**، الكويت، 2010 م، ص92.

الخاتمة

الخاتمة

أصبح المذهب المالكي هو للذهب الرسمي في بلاد السودان الغربي وساد في عهد السلطان الذي يفتخر بالانتماء إليه، كما قد رسخ المذهب المالكي بفضل العدد الكبير من العلماء والفقهاء والذين ينتمون لأسر علمية مشهورة عرفوا بتفوقهم العلمي في الفقه المالكي والمعروفون بنصائحهم الشرعية لحكام الدول السودانية حول نظام الحكم. وكان لانتشار الكتب المالكية والتي وجدت رواجا في السودان الغربي اثارا كبيرة في تعليم المذهب المالكي والثقافة الاسلامية.

نتائج الدراسة:

- نرى بأن المذهب المالكي وفقهائه من أهم ركائز مجتمع السودان الغربي.
- اكتسب فقهاء المالكية مكانة عظيمة داخل هذه البلاد، حيث كان لهم الدور الحيوي في مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.
- ازدهرت الحركة العلمية في السودان الغربي، وهذا راجع لتشجيع الحكام والملوك للعلم والعلماء، فنشطت حركة التأليف فعلماء السودان الغربي حرروا وكتبوا كتب ومصادر في مختلف العلوم، كما كانت للمكتبات الخاصة دور هام في تطور الحركة العلمية والثقافية في البلاد.
- ظهرت عدة مذاهب في السودان الغربي قبل ظهور المذهب المالكي منها المذهب الإباضي والمذهب الشيعي إلأ أنهما لم يكن بقاؤها هناك بصفة دائمة وهذا راجع إلى عوامل أدت إلى تراجع معظم المذاهب أمام المذهب المالكي الذي حقق إنتصار واسع على حسابهم.
- لعبت التجارة والرحلات والمرابطين وطرق الصوفية دورا هاما في تقبل السودانيين للمذهب المالكي دون غيره من المذاهب الأخرى كل حسب دوره.
- عرف إقليم السودان الغربي حركة علمية وفكرية متطورة، حيث أبدى هذا الفرد الإفريقي اهتمامه بهذا المجال، وذلك نظرا للدرجة التعليمية التي بلغها السودان الغربي، وتظهر إهتمامات الأفارقة بالتعليم من خلال العمل على تحصيله بدءا من انتشار الإسلام
- إرتباط نقل الحركة العلمية المعارف الصحيحة والعلوم كالفقه والبلاغة بالمنطقة السودان الغربي، كما انتقلت مؤثرات الثقافة العربية الى منطقة غرب إفريقي.

- ظهور مجموعة من الفقهاء والعلماء المالكية في السودان الغربي الذين كانوا لهم تأثير كبير في درجات العلمية وفي المجال الديني والمستوى الفكري.
- ظهور مؤسسات تعليمية في منطقة السودان الغربي، والتي تجسدت في كل من المساجد والرابطات والكتاتيب، والتي شكلت آنذاك المنابر الأولى لتلقين العلوم والمعارف والتي كانت ذات طابع ديني.
- كما عرفت منطقة السودان الغربي العديد من الحواضر التعليمية، وذلك في كل من تمبكتو وغاو وجني وغيرها، والتي كان يتم فيها التعليم على مستوى عال جدا بدليل أنه تخرج منها العديد من العلماء والفقهاء.
- شكلت التجارة والرحلات العامل الاساسي لانتشار الاسلام والمذهب المالكي والثقافة العربية في بلاد المغرب السودان الغربي.

الملاحق

الملحق رقم: (01)

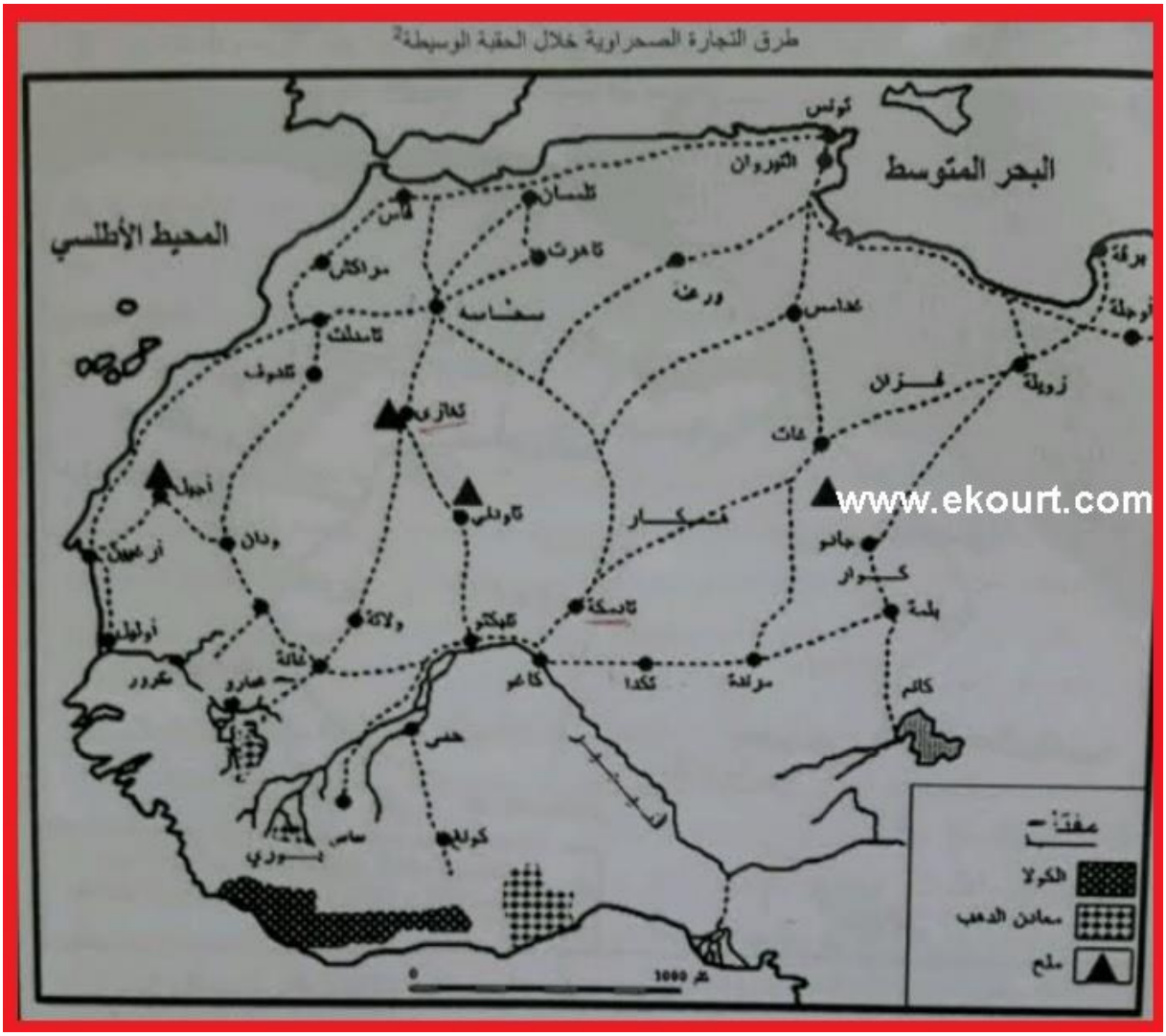

الشكل التالي يمثل طرف التجارية في سودان الغربي

المصدر– الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي إفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص.261

الملحق(02): تقسيمات مدينة غانا

المصدر– الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي إفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص.262

الملحق (03): الشكل يمثل احد قوافل رحلات الحج

المصدر– الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي إفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص.261

الملحق 04: منزل محمد بابا تنبكتي

المصدر: حسين مراد – رئيس قسم التاريخ اثناء زيارته الى المنطقة

الملحق 05: احدى الصبية يتعلم القرءان في احدى الكتاتيب

المصدر– الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي إفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص.263

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

2- إبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الانظار في غرائب الأمطار، شرحه، طلال حرب، دار المكتبة العلمية، بيروت،2007م- 1428 هـ، ط.4

3- ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي، (ت: 367 هـ / 977 م)، صورة الأرض. لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992

4- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 1982 م

5- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح وتع: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، مدرسة الحديث بجامعة الأزهر، القاهرة، دار التراث.

6- ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المتوفى عام 751 هـ / 1350م " أعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973 م،

7- ألإدريسي أبو عبد الله الشريف، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. تج: إسماعيل العريب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983

8- إبن كثيرٍ إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج14، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 1977

9- التكروري بن عرفة، العرف المشهور في حجاج بالد التكروري، الخانجي، القاهرة، مصر. 1314

10- ربيعة بن أبي عبد الرحمان فروخ: ويكني أبا عثمان وهو من موالي آل منكدر فقيه عالم فريد متميز، قوم البيان، حسن الكلام ينظر.

11- السعدي عبد الرحمن بن عبد هللا بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، بردين انجي، باريس، فرنسا. 1898

12- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003

13- عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت الكتاب اللبناني للنشر، ط 1، 1968 م، مج 6، ص197

14- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوادس، باريس، 1981

15- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 -515هـ/ 1038-1121م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان

15- عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المملكة المغربية، 1983

16- المقريزي تقي الدين: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1955

17- يراجع: ترتيب المدارك، الشيخ محمد المكي الناصري، حركة التجارة والإسلام،، ندوة الإمام مالك عام 1400هـ/1980م.

18-القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشا ف صناعة الانشا. ج، 5تح: نبيل خالد الخطيب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط. 198

19- أبوبكر عبد الله بن محمد مالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

أولا: المراجع باللغة العربية

1- الكتب

17- إبراهيم علي طرخان، امبراطورية غانة الاسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف، دط، 1970.

19- أحمد ناجم الدين فليجة، إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د.س)،.

20- ايهاب شعبان عبد اشافي، القضاء في دولتي مملكة مالي وصنعاء وأثره الحضاري في المجتمع (636-1000هـ/1238-1561م) القاهرة، الإفريقية الدولية للنشر والطبع كالتوزيع، 2017.

21- باري محمد علي وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2007 م

22- جوزيف جوان، الاسلام في ممالك وإمبرطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة:مختار السويفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1404هـ- 1984م، ط1.

23- حماه االله ولد سالم، تاريخ بلاد الشنقيطي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 2010.

24- د.محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1،الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر،(د.س)

25- الدمشقي شمس الدين، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر بيتربورغ، المطبعة الأكاديمية للإمبراطورية المقدسة، 1926 م.

26- سحر عنتر محمد مرجان، فقهاء المالكية واثرها في السودان الغربي، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية، 1432هـ/2011م، حسين سيد عبد الله مراد، " الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي (2-6هـ / 8-12م) ". معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر، 19 أفريل، 2015 م

27- سيسيكو سينيكي مودي: تاريخ افريقيا العام، السونيسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988.

28- عبد الرحمان الشرقاوي، أئمة الفقه التسعة. القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1411 هـ / 1991 م،

29- عبد الرحمن عثمان حجازي، المذهب التربوي عند ابن سحنون رائد التأليف التربوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط 2، 1995.

30- عبد القادر زباديه، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي فير إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

31- علي جمعة محمد، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط 4، 1433 هـ/ 2012 م

32- العمري شهاب الدين بن فضل هللا، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار مج 4، المجمع الثقافي، أبوظبي، الامارات العربية المتحدة. 2001

33- فيج.جي.دين تاريخ غرب إفريقيا، تر:دكتور سيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.س)

قادة بن علي، " التعريف بالمذهب المالكي" مجلة الثقافة الإسلامية، ع1، 2005، الجزائر،

34- قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2.

35- كي عبد الرحمن، تاريخ الدولة بإفريقيا الغربية. القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ط، 1964 م.

36- كي عبد الرحمن، تاريخ الدولة الإسلامية السودانية في إفريقيا الغربية، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، 1974م

37- عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا، ط، دار الأمين للطباعة، القاهرة، 2000

38- ماك كول، الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة، ترجمة الأستاذ محمد حمداوي، الدار البيضاء دط إسراء مراد، فعالية النظام الضريبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

39- حمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره وآراءه وفقهه. مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت.

40- محمد المختار محمد الماسي، المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته خصائصه وسماته)، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2002 / 1422

41- محمد بلو بن عثان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلد التكرور، ترجمة: عبدة الشاذلي، الرباط، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، ط 1، 1996 م.

42- محمد على دهني الهام:جهاد المالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850هـ/1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988م

43- محمد يحي حبيب، الحركة الاصلاحية في بلاد شنقيط (موريتانيا) بين الاستجابة للاستعمار الفرنسي ودفاعه من خلال بعض الفتاوى والوثائق، مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، جامعة إنديانا 2006

44- مرمول كربخال، إفريقيا، د ار المعرفة، ج3 الرباط 2008

45- ناصر الدين سعيدوني، معاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010 م.

46- نجم الدين الثاني المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 55 / 11 م تونس، نير زمان، 2004

47- هارون ولد عمار، التأثير والتأثر في الفتوى الفقهية الموريتانية، مقاربة وصفية لبعض المدونات الفقهية، من أعمال ندوة: الفقهاء والصوفية في الغرب الإسلامي ودلالات التقريب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2010 م.

المذكرات والأطروحات الجامعية:

48- الأوسط وبلاد السودان الغربي (ق 2-8هـ) مذكرة ماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، 2015/2016.

49- بن منوفي أسماء، الحواضر العلمية في السودان الغربي ولاته نموذجا ما بين القرنين 7 -13هـ / 13-19 م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، إشراف برمكي محمد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية قسم العلوم الإنسانية (د.ب.ن)، 2018 – 2019 م

50- خالدي مسعود، وسائل انتشار الإسلام في السودان من القرن الأول إلى الخامس الهجريين السابع إلى الحادي عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، إش: بوبة مجاني، قسم التاريخ، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 1412هـ/2000،

51- عبد الرحمان لسعدي، تاريخ السودان، كلية الادب العربي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، جامعة نواكشط موريتانيا،1665-1596

52- عبد القادر بوحسون، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي-قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2002،

53- عواشرية خولة، انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين(2-9هـ / 8-15م). مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، إش: خالدي مسعود، جامعة 8 مام 1945، قالمة، 2017/2016م.

54- فوزية يونس فتاح، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق 1994.

55- مبارك جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد القرن 13 19هـ/ م، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حوتية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2 2013 - 2014م.

56- محمد أبو محمد إمام: سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا، 26 نوفمبر 2006

57- رونح شهيرة، الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الاغالبة، مذكره لاستكمال نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2017

المجلات

58- شعباني نور الدين، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين 9و5/ هـ 11-156م،مجلة كان التاريخية، ع14.

59- أحمد جعفري، المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب - قراءة في المصادر العربية والإفريقية- ما بين القرنين (08هـ-11هـ/14م-17م)، مجلة آفاق علمية، مجلد 12 عدد01، جامعة غرداية (قسم التاريخ- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020

60- علي يعقوب، "العائلات العلمية في السودان الغربي دراسة وصفية: عائلة أقيت نموذجا". مجلة قراءات إفريقية، ع: 44، السنة 16، أفريل 2020.

61 - ميقا أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في بلاد السودان، مجلة الإمام محمد ابن مسعود، السعودية، دار المنظومة الإسلامية، ع11، د.ت.

4- الموسوعات:

62- أحمد عبد الحليم رجب، الموسوعة الافريقية لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث الدراسات الافريقية، 1998،دط، مج، 2.

63- محمد عبد الغني المسعودي، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إقليم إفريقيا، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن مسعود، د.طه 1999 م، مج .12

5- مؤتمرات وملتقيات ومقالات.

64- أحمد بن محمد بونوة، الإمام شيخ الإسلام مالك بن أنس، مقال منشورفي شبكة الألوكة، 1438/ 2017.

65- محمد أمين مؤدب، جوانب من الصلات التقافية بين المغرب والغرب افريقيا، ندوة التواصل الثقافي بين اقطار افريقيا بين اقطار الصحراء، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ط1، 1999،

6-المراجع الأجنبية.

-CUOQ Josèphe, Op.Cit, P: 245.

-CORNEVIN Robert, Op.Cit, P: 382.

-Provençal, L. " un document inédite sur l' expédition salide au soudan, in Arabica, tom 11 ،fascicul 1janvier ،pp, 89,96

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

إهداء .....

شكر وعرفان.....

قائمة المختصرات.....

مقدمة.....1

الفصل التمهيدي

أوضاع السودان الغربي قبل ظهور الإسلام

المبحث الأول: التعريف ببلاد السودان الغربي.....8

أولا- تعريفه: 8

ثانيا- الحكم:.....15

المبحث الثاني: السودان الغربي قبل ظهور الإسلام. 18

أولا -ما قبل الإسلام:.....18

ثانيا: بعد مجيئ الإسلام:.....20

الفصل الأول

السودان الغربي قبل ظهورالمذهب المالكي

المبحث الأول: المذاهب والتيارات الفكرية. 24

أولا— قبل ظهور المذهب المالكي.....24

ثانيا- بعد ظهور المذهب المالكي 27

المبحث الثاني: أوضاع السودان الغربي الثقافية بعد ظهور المذهب المالكي.....29

أولا- اللغة 29

ثانيا- انتشار العلوم والانتاج الفكري: 31

الفصل الثاني

مراحل انتشار المذهب المالكي

المبحث الأول: نشأة المذهب المالكي..... 38
أولا- تعريف المذهب المالكي:..... 38
ثانيا- المناطق التي ذاع فيها انتشار المذهب المالكي..... 39
المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب المالكي 40
أولا- عوامل داخلية لإنتشار المذهب المالكي..... 40
ثانيا: العوامل الخارجية: 43
المبحث الثالث: مرحلة سيادة المذهب المالكي..... 46
أولا- أعلام هذه المرحلة:..... 47
ثانيا- الطرق التي ساد بها المذهب المالكي:..... 47

الفصل الثالث

فقهاء المالكية والحياة العلمية وأدوارهم السياسية

المبحث الأول: الإسهامات العلمية وأدوارهم التعليمية..... 52
أولا: الدور الديني. 52
ثانيا: الدور العلمي..... 59
المبحث الثاني: علاقة الفقهاء بالسلطة وتأثيرهم السياسي:..... 63
أولا: علاقة الفقهاء بالسلطة..... 63
ثانيا: تأثير المذهب سياسيا: 66
الخاتمة 73
الملاحق..... 75
قائمة المصادر والمراجع..... 83
قائمة المحتويات 91
الملخص: .....

الملخص

الملخص:

لم يظهر بلاد السودان ولم يبرز للعلن وللوجود إلا بعد وصول الإسلام إليه ويعود الفضل لانتشار الإسلام واللغة في غرب افريقيا فيه، يقينا وبالدرجة الأولى بوصول الدعاة والتجار المغاربة إليه، وكان لهم الدور الكبير في ذلك، ولم يكن تأثير التجار المغاربة من ناحية الدين واللغة فقط، بل تعدى ذلك إلى تأثر السودانيين للمعتقدات والمذاهب الرائجة في بلاد المغرب آنذاك وفي مقدمتها المذهب المالكي، وهذا الأخير كان وصوله مرتبط بوصول الإسلام إليه ويمثل هذا المذهب الى اليوم الركيزة التي توحد بين بلاد السودان الغربي وجنوب الصحراء وبلاد المغاربة بالرغم من الاختلاف الفكري والأحوال السياسية لكل منهم فكان النصيب الأكبر للأخذ به من قبل سكان غرب افريقيا

الكلمات المفتاحية: السودان الغربي، المذهب المالكي، غرب افريقيا، المعتقدات.

Abstract:

The Sudan region did not appear or come to prominence until the arrival of Islam. The credit for the spread of Islam and language in West Africa is undoubtedly due, primarily, to the arrival of Maghrebian preachers and merchants to it. They played a major role in this. The influence of Maghrebian merchants was not limited to religion and language, but went beyond that to the influence of the Sudanese on the beliefs and schools of thought prevalent in Maghreb at that time, including the Maliki school of thought. The arrival of this school was linked to the arrival of Islam, and it represents the cornerstone that unites the Sudan, south of the Sahara, and Maghrebian today, despite the ideological differences and political circumstances of each of them. The Maliki school has been the most widely adopted by the people of West Africa.

Keywords: Western Sudan, Maliki school of thought, West Africa, Beliefs